فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

التوحيد

العدد ٦٤٢ السنة الرابعة والخمسون - جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

الإسلام
واستخلاف الإنسان في المال
والغرب ووقف جونتر الثالث

حضارة أهل الطغيان في بيان هدهد سليمان

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٤٢ السنة الرابعة والخمسون - جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولارًا أو ٤٠٠ ريال سعودي بالجنيه المصري.

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبد المجيد

السلام عليكم

بتوجيه من فضيلة الرئيس العام لجماعة أنصار السُّنَّة المحمدية -حفظه الله-؛ فإن مجلة التوحيد الغراء تشرُف بدعوة خطباء ودعاة الجمعية الكرام وأهل العلم والفضل أصحاب المناهج المستقيمة إلى المشاركة البنّاءة في إثراء المجلة بمقالات هادفة بنّاءة وبمنهج واضح وقلم سديد ، فمن وجد من نفسه نشاطًا ورغبة في المشاركة بقلمه ورأيه فليتفضل مشكورًا بالمراسلة على البريد الإلكتروني للمجلة، أو على واتساب رئيس التحرير ٠١٠٠٥٠٠٧١٥١. على أن تكون المقالة مكتوبة على ملف word، وبحد أقصى ١٣٠٠ كلمة للمقالة الواحدة.

ويتم نشر المقالات المرسلة في حال الموافقة عليها بعد عرضها على إدارة المجلة.

ولكم منا وافر الشكر والتقدير.

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

رئيس التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

افتتاحية العدد الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
مسائل علم التوحيد د. عبد الله شاكر ٨
الإسلام واستخلاف الإنسان في المال د. أيمن خليل ١١
الدعاء في الصلاة د. جمال المراكبي ١٧
حقيقة الإخلاص لله تعالى عبد العزيز مصطفى الشامي ٢١
حضارة أهل الطغيان د. أحمد بن سليمان أيوب ٢٣
قضاء حوائج الناس المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٢٦
واحة التوحيد د. علاء خضر ٢٨
صفات المخبتين د. محمد حامد ٣٠
نظرات في كتاب السيد البدوي د. محمد عبد العزيز ٣٤
تحذير الداعية من القصص الواهية الشيخ علي حشيش ٣٩
الألفاظ الموهمة في باب الصفات د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٣
أسوة الأجيال بخير الرجال د. سيد عبد العال ٤٧
مظاهر الجاهلية الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٤٩
وقفات مع وصية نبوية عظيمة الشيخ صلاح عبد الخالق ٥٢
وخيرهما الذي يبدأ بالسلام الشيخ عبده أحمد الأقرع ٥٥
كيف نختار الأصدقاء؟ الشيخ صلاح نجيب الدق ٥٨
عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة
لواء مهندس محمود المراكبي، رحمه الله ٦١

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة

مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالا ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالا ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

ادارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

إعداد **الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**

الرئيس العام

بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن المسلم يواجه في حياته من صنوف الابتلاء بالشر الكثير؛ فتارةً في الشبهات وأخرى في الشهوات، فضلاً عما يلقاه من مكروه في ماله أو ولده، أو ما يؤذيه من كلام الناس. قال تعالى: «لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ» (آل عمران: ١٨٦).

وتتنوع الفتن باختلاف الزمان والمكان، وتتفاقم حتى صار المسلمون يرون إخوانهم يُدفنون أحياء ويموتون جوعًا، ويُبادون بأطنان من الموادّ الحارقة على أيدي اليهود الصهاينة بمباركة من الدول التي تنسب نفسها إلى الحرية وحقوق الإنسان، وهم أبعد ما يكونون عن ذلك.

ومع هذا السيل الجارف من الابتلاء بالشر يقف المسلم صامدًا معتصمًا بالله تعالى: «وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (آل عمران: ١٠١)، فيتخلق بأخلاق القرآن، ويتأسى بالرسول الكريم ومن سبقه من الأنبياء ومن

بعده من الصالحين: «وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ» (هود: ١٢٠).

فها هي بشارات الله للموحدين الذين يتقون في وعده تعالى: «وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ» (الحج: ٤٧)؛ بأنه سبحانه سيكفيهم شر الأشرار وكيد الفجار من اليهود والنصارى وغيرهم قال تعالى: «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (البقرة: ١٣٧)، قال الطاهر بن عاشور: "ومعنى كفايتهم كفاية شرّهم وشقاقهم، وكفاية النبي كفاية لأُمّته، لأنه ما جاء بشيء ينفع ذاته صلى الله عليه وسلم".

وقال القرطبي رحمه الله: "أي سيكفي الله رسوله عدوّه، فكان هذا وعد الله لنبيه عليه السلام أنه سيكفيه مَن عانده ومَن خالفه من المتولّين له وبمن يهديه من المؤمنين، فأنجز له وعده، وكان ذلك في قتل بني قينقاع وبني قريظة وإجلاء بني النضير".

إن سنن الله تعالى في عباده ماضية في استهزاء المجرمين بالموحدين: «إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ» (المطففين: ٢٩)، وقدوتنا في ذلك أكمل الناس عقلاً وأعظمهم خلقًا صلى الله عليه وسلم؛ كم سخروا منه! وكم آذوه! لكنَ ثبّته الله تعالى بحُسن عبادته وكمال توكله وامتثاله قول ربه عز وجل: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ» (الحجر: ٩٧-٩٨).

قال ابن كثير عند تفسيرها: "أي بلّغ ما أُنزل إليك من ربك، ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله.. ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» (المائدة: ٦٧).

وإن من سنن الله تعالى: الصراع بين الحق والباطل وعلو صولة الباطل أحيانًا، ومن ذلك تخويف المؤمنين تارة بالقتل أو الإخراج من الوطن أو التخويف بالآلهة المزعومة من أن تصيب أهل التوحيد بأذى، وإلى يومنا هذا تجد مَن يخوف الناس بالسيد والسيدة وغيرهما، غير أن سلامة العقيدة وحسن التوكل تقوّي جانب المؤمن المتوكل؛ فيتلقى كل هذا بتفويض الأمر إلى ربه تعالى، معتمدًا عليه موقنًا بقدرته على كل شيء وإحاطته سبحانه بكل شيء، وأنه تعالى ينصر أولياءه ويدافع عنهم: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ» (الزمر: ٣٦).

> ”سلامة العقيدة وحسن التوكل تقوّي جانب المؤمن المتوكل.“

قال ابن عطية رحمه الله في «المحرر الوجيز» في سبب نزولها: إن كفار قريش كانت خوّفته صلى الله عليه وسلم من الأصنام، وقالوا: يا محمد أنت تسبها ونخاف أن تمسّك بجنون أو علة؛ فنزلت الآية.

ونقل القرطبي قول قتادة: إن خالد بن الوليد مشى إلى العُزّى ليكسرها بالفأس.(وفي الأثرين مقال) فقال له سادنها: أحذرك إياها يا خالد؛ فإن لها شدة لا يقوم لها شيء؛ فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس، وتخويفهم لخالد تخويف للنبي؛ لأنه الذي

أرسل خالدًا، وإن كانت قراءة حفص ومن وافقه «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» بالتوحيد على أنه النبي محمد صلى الله عليه وسلم غير أن قراءة حمزة والكسائي ومن وافقهما: (أليس الله بكاف عباده) على أنهم الأنبياء والمؤمنون بهم.

وهذا ما أشار إليه القرطبي-رحمه الله- عند تفسيره للقراءتين «بِكَافٍ عَبْدَهُ» يعني محمداً صلى الله عليه وسلم، وإن الله يكفيه وعيد المشركين وكيدهم و(بكاف عباده) هم الأنبياء والمؤمنون بهم. وقال-رحمه الله-: ويحتمل أن يكون العبد لفظ الجنس كقوله عز من قائل: «إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ» (العصر: ٢). وعلى هذا تكون القراءة الأولى راجعة إلى القراءة الثانية، وقد كفى الله عبده محمداً صلى الله عليه وسلم كيد المشركين في مكة حين أرادوا قتله؛ فقال عز وجل: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» (الأنفال: ٣٠)، وكفاه شرهم ليلة الهجرة، «فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ» (التوبة: ٤٠)، وكفاه شرهم يوم بدر: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ» (آل عمران: ١٢٣)، وكفاه شرهم يوم الأحزاب: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا» (الأحزاب: ٩).

أما عباده المؤمنون من الأنبياء والمرسلين فإن كفاية الله أعداءهم لا تخفى على من تدبر آيات القرآن؛ قال سبحانه: «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ» (غافر: ٥١)، وقال سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا» (الحج: ٣٨)، قال ابن الجوزي صاحب زاد المسير عند تفسيرها: والمعنى: يدفع الله عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم.

وقال ابن كثير-رحمه الله-: يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم.

ومن الأسباب التي يُفهَم منها كفاية الله للمؤمن: حُسْن التوكل على الله؛ «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ» (الطلاق: ٣). كما أن الدعاء من أوسع الأبواب التي يدخل بها العبد على ربه فيكون ذلك سببًا في كفاية الله له.

وأحيلك-أيها القارئ الكريم- إلى صحيح مسلم (كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود)لترى كيف كان الدعاء سببًا في تفريج الكرب وكفاية الله للعبد؛ إنه دعاء الغلام «اللهم اكفنيهم بما شئت» فنجّاه الله به من أن يُلقى من ذروة الجبل، ونجاه الله به من أن يُقذف في وسط البحر.

كما أن كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تكون سببًا في كفاية العبد وهدايته ووقايته من كل سوء في الدنيا والآخرة؛ كما في المسند من حديث أُبَي بن كعب، قال: يا رسول الله أرأيت إن جعلت لك صلاتي كلها، قال: «إذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما أهمَّك من دنياك وآخرتك».(حسن)

ومن أسباب كفاية الله لعبده: أن يُحسن التوكل عليه قولاً وعملاً؛ عند خروجه من منزله قائلاً: "باسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله". قال صلى الله عليه وسلم: «يُقال له حينئذ: هُديت وكُفيت ووُقيت فيتنحى عنه الشياطين؛ فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد كُفي وهُدي ووُقي» (رواه أبو داود) (صحيح).

فاللهم ارزقنا حسن التوكل عليك ودوام الإنابة إليك، واكفنا بفضلك شر كل ذي شر.

والحمد لله رب العالمين.

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ۚ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَٰكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾»

(الأحزاب: ٣- ٦).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد أخذت الآيات في إبطال عادات وتقاليد الجاهلية، ومنها الظهار والتبني، وقدمت لذلك بمثال محسوس، فقال تعالى: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم».

قال الزهري ومقاتل رحمهما الله: هذا مثل ضربه الله -عز وجل- للمظاهر من امرأته، وللمتبني ولد غيره، يقول: فكما لا يكون لرجل قلبان، كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان، ولا يكون ولد واحد ابن رجلين (معالم التنزيل: ٤/ ٤٣١).

الظهار وحكمه في الإسلام:

أما الظهار فهو أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وكانوا في الجاهلية إذا قال الرجل لامرأته ذلك حرم عليه وطؤها، ثم تبقى معلقة، لا هي مطلقة فتتزوج غيره، ولا هي زوجة فتحل له. وكان في هذا من القسوة ما فيه، وكان طرفا من سوء معاملة المرأة في الجاهلية والاستبداد بها، وسومها كل مشقة وعنت.

فلما أخذ الإسلام يعيد تنظيم العلاقات الاجتماعية في محيط الأسرة، ويعتبر الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأولى، ويوليها من عنايته ما يليق بالمحضن الذي تنشأ فيه الأجيال، جعل يرفع عن المرأة هذا السخف، وجعل يصرف تلك العلاقات بالعدل واليسر، وكان مما شرعه هذه القاعدة: «وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم»، فإن قولة باللسان لا تغير الحقيقة الواقعة، وهي أن الأم أم، والزوجة زوجة، ولا تتحول طبيعة العلاقة بكلمة! ومن ثم لم يعد الظهار تحريما أبديا كتحريم الأم كما كان في الجاهلية.

وقد كان سبب إبطال عادة الظهار ظهار أوس بن الصامت من زوجه خولة بنت ثعلبة -رضي الله عنهم-، «فجاءت تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول: يا رسول الله،

أَكَلَ شَبابي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْني، حَتَّى إذا كَبِرَتْ سِنِّي وانْقَطَعَ وَلَدي ظاهَرَ منِّي، فَقالَ صلى الله عليه وسلم: ما أراكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْه. فَأعادَتْ ذَلِكَ مِرارًا، والرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ما أراكِ إلاَّ قَدْ حَرُمْتِ عَلَيْه، قالَتْ: اللَّهُمَّ إنِّي أشْكُو إلَيْكَ. فَما بَرِحَتْ حَتَّى نَزَلَ جِبْرائيلُ بِهَؤُلاءِ الآياتِ: «قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ». الآيات(المجادلة: ١) (صحيح سنن ابن ماجه: ١٦٧٨).

فَجَعَلَ الظِّهارَ تَحْريمًا مُؤَقَّتًا لِلوَطْءِ لا مُؤَبَّدًا ولا طَلاقًا، وجَعَلَ لَهُ كَفَّارَةً، مَتَى أدَّاها المُظاهِرُ حَلَّتْ لَهُ زَوْجَتُه، وبِذَلِكَ تَعُودُ الحَياةُ الزَّوْجِيَّةُ لِسابِقِ عَهْدِها، ويَسْتَقِرُّ الحُكْمُ الثَّابِتُ المُسْتَقيمُ عَلَى الحَقيقَةِ الواقِعَةِ: «وما جَعَلَ أزْواجَكُمُ اللائي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ»، وتَسْلَمُ الأُسْرَةُ مِنَ التَّصَدُّعِ بِسَبَبِ تِلْكَ العادَةِ الجاهِلِيَّةِ، التي كانَتْ تُمَثِّلُ طَرَفًا مِنْ سُوءِ المَرْأةِ السُّخْفِ والعَنَتِ، ومِنِ اضْطِرابِ عَلاقاتِ الأُسْرَةِ وتَعْقيدِها وفَوْضاها، تَحْتَ نَزَواتِ الرِّجالِ وعَنْجَهِيَّتِهِمْ في المُجْتَمَعِ الجاهِلِيِّ.

حكم التبني في الإسلام:

فَأمَّا مَسْألَةُ التَّبَنِّي، ودَعْوَةُ الأبْناءِ إلى غَيْرِ آبائِهِمْ، فَقَدْ كانَتْ كَذَلِكَ تَنْشَأُ مِنَ التَّخَلْخُلِ في بِناءِ الأُسْرَةِ، وفي بِناءِ المُجْتَمَعِ كُلِّه. ومَعَ ما هُوَ مَشْهُورٌ مِنَ الاعْتِزازِ بالعِفَّةِ في المُجْتَمَعِ العَرَبِيِّ، والاعْتِزازِ بالنَّسَبِ، فإنَّهُ كانَتْ تُوجَدُ إلى جانِبِ هَذا الاعْتِزازِ ظَواهِرُ أُخْرَى مُناقِضَةٌ في المُجْتَمَعِ، في غَيْرِ البُيُوتِ المَعْدُودَةِ ذاتِ النَّسَبِ المَشْهُورِ. كانَ يُوجَدُ في المُجْتَمَعِ أبْناءٌ لا يُعْرَفُ لَهُمْ آباءٌ! وكانَ الرَّجُلُ يُعْجِبُهُ أحَدُ هَؤُلاءِ فَيَتَبَنَّاهُ، يَدْعُوهُ ابْنَهُ، ويُلْحِقُهُ بِنَسَبِه، فَيَتَوارَثُ وإيَّاهُ تَوارُثَ النَّسَبِ. وكانَ هُناكَ أبْناءٌ لَهُمْ آباءٌ مَعْرُوفُونَ، ولَكِنْ كانَ الرَّجُلُ يُعْجَبُ بِأحَدِ هَؤُلاءِ فَيَأْخُذُهُ لِنَفْسِه، ويَتَبَنَّاهُ، ويُلْحِقُهُ بِنَسَبِه، فَيُعْرَفُ بَيْنَ النَّاسِ بِاسْمِ الرَّجُلِ الذي تَبَنَّاهُ، ويَدْخُلُ في أُسْرَتِه. وكانَ هَذا يَقَعُ بِخاصَّةٍ في السَّبْيِ، حِينَ يُؤْخَذُ الأطْفالُ والفِتْيانُ في الحُرُوبِ والغاراتِ، فَمَنْ شاءَ أنْ يُلْحِقَ بِنَسَبِهِ واحِدًا مِنْ هَؤُلاءِ دَعاهُ ابْنَهُ، وأطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَهُ، وعُرِفَ بِه، وصارَتْ لَهُ حُقُوقُ البُنُوَّةِ وواجِباتُها.

ومِنْ هَؤُلاءِ زَيْدُ بْنُ حارِثَةَ الكَلْبِيُّ-رضي الله عنه-، وهُوَ مِنْ قَبيلَةٍ عَرَبِيَّةٍ، سُبِيَ صَغيرًا في غارَةِ أيَّامِ الجاهِلِيَّةِ، فاشْتَراهُ حَكيمُ بْنُ حِزامٍ لِعَمَّتِهِ خَديجَةَ رضي الله عنها، فَلَمَّا تَزَوَّجَها رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وهَبَتْهُ لَهُ، ثُمَّ طَلَبَهُ أبُوهُ وعَمُّهُ، فَخَيَّرَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فاخْتارَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، فَأعْتَقَهُ، وتَبَنَّاهُ، وكانُوا يَقُولُونَ عَنْهُ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّد، وكانَ أوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ المَوالي.

فَلَمَّا شَرَعَ الإسْلامُ يُنَظِّمُ عَلاقاتِ الأُسْرَةِ عَلَى الأساسِ الطَّبيعِيِّ لَها، ويُحْكِمُ رَوابِطَها، ويَجْعَلُها صَريحَةً لا خَلْطَ فيها ولا تَشْويه، أبْطَلَ عادَةَ التَّبَنِّي هَذِه، ورَدَّ عَلاقَةَ النَّسَبِ إلى أسْبابِها الحَقيقِيَّةِ، عَلاقاتِ الدَّمِ والأُبُوَّةِ والبُنُوَّةِ الواقِعِيَّةِ، وقالَ: «وما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأفْواهِكُمْ»، والكَلامُ لا يُغَيِّرُ واقِعًا، ولا يُنْشِئُ عَلاقَةً غَيْرَ عَلاقَةِ الدَّمِ، وعَلاقَةِ الوِراثَةِ لِلخَصائِصِ التي تَحْمِلُها النُّطْفَةُ، وعَلاقَةِ المَشاعِرِ الطَّبيعِيَّةِ النَّاشِئَةِ مِنْ كَوْنِ الوَلَدِ بَضْعَةً حَيَّةً مِنْ جِسْمِ والِدِهِ الحَيِّ! «والله يَقُولُ الحَقَّ» يَقُولُ الحَقَّ المُطْلَقَ الذي لا يُلابِسُهُ باطِلٌ، «وهُوَ يَهْدي السَّبيلَ» المُسْتَقيمَ المُتَّصِلَ بِنامُوسِ الفِطْرَةِ الأصيلِ (في ظلال القرآن: ٥٣٤/٦-٥٣٦).

وقَوْلُهُ تَعالَى: «ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ الله» هَذا أمْرٌ ناسِخٌ لِما كانَ في ابْتِداءِ الإسْلامِ مِنْ جَوازِ ادِّعاءِ الأبْناءِ الأجانِبِ، وهُمُ الأدْعِياءُ، فَأمَرَ الله تَعالَى بِرَدِّ نَسَبِهِمْ إلى آبائِهِمْ في الحَقيقَةِ، وأنَّ هَذا هُوَ العَدْلُ والقِسْطُ والبِرُّ.

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهم- قالَ: «إنَّ زَيْدَ بْنَ حارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ الله-صلى الله عليه وسلم- ما كُنَّا نَدْعُوهُ إلاَّ زَيْدَ بْنَ مُحَمَّد، حَتَّى نَزَلَ القُرْآنُ «ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ الله» (صحيح البخاري ٤٧٨٢).

وقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، في الخلوة بالمحارم وغير ذلك، ولهذا قالت سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة: يا رسول الله، إن سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقلوا، وانه يدخل علينا، واني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئا، فقال لها النبي-صلى الله عليه وسلم-: «أرضعيه تحرمي عليه» (صحيح البخاري: ٥٠٨٨).

ولهذا لما نسخ هذا الحكم، أباح الله تعالى زوجة الدعي، وتزوج رسول الله-صلى الله عليه وسلم- زينب بنت جحش مطلقة زيد بن حارثة، وقال تعالى: «لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا» (الأحزاب ٣٧)، وقال في آية التحريم: «وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ» (النساء ٢٣)، احترازا عن زوجة الدعي، فإنه ليس من الصلب، فأما الابن من الرضاعة، فمنزل منزلة ابن الصلب شرعا، بقوله-صلى الله عليه وسلم-: «حرموا من الرضاعة ما تحرمون من النسب» (صحيح البخاري: ٢٦٤٥).

وقوله-عز وجل-: «فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم» أمر الله تعالى برد أنساب الأدعياء إلى آبائهم إن عرفوا، فإن لم يعرفوا آباءهم، فهم إخوانهم في الدين ومواليهم، أي: عوضا عما فاتهم من النسب، ولهذا قال-صلى الله عليه وسلم- لزيد: «أنت أخونا ومولانا». (صحيح البخاري: ٤٢٥١).

وقوله تعالى: «وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به» أي: إذا نسبتم بعضهم إلى غير أبيه في الحقيقة خطأ، بعد الاجتهاد واستفراغ الوسع، فإن الله قد وضع الحرج في الخطأ ورفع إثمه، وانما الإثم على من تعمد الباطل «ما تعمدت قلوبكم». (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٦٦و٤٦٧، باختصار).

منزلة الرسول-صلى الله عليه وسلم- في أمته:

ولما أبطل سبحانه وتعالى بعض العادات الموروثة من الجاهلية، وهي الظهار والتبني، شرع في إبطال حكم عمل به في صدر الإسلام لضرورة دعت إليه، وهو التوارث بأخوة الدين، التي أقامها النبي-صلى الله عليه وسلم- بين الأنصار والمهاجرين: فقال تعالى: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» لأنه-صلى الله عليه وسلم- بذل لهم من النصح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق وأرأفهم، فرسول الله-صلى الله عليه وسلم- أعظم الخلق منة عليهم من كل أحد، فإنه لم يصل إليهم مثقال ذرة من الخير، ولا اندفع عنهم مثقال ذرة من الشر، إلا على يديه وبسببه، ولذلك وجب عليهم إذا تعارض مراد النفس، أو مراد أحد من الناس مع مراد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، أن يقدم مراد الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وأن لا يعارض قول الرسول-صلى الله عليه وسلم- بقول أحد، كائنا من كان، وأن يفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، ويقدموا محبته على الخلق كلهم، وألا يقولوا حتى يقول، ولا يتقدموا بين يديه.

وهو-صلى الله عليه وسلم- كالأب للمؤمنين، يربيهم كما يربي الوالد أولاده، فترتب على هذه الأبوة أن كان نساؤه أمهاتهم، أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام، لا في الخلوة والمحرمية، وكأن هذا مقدمة لما سيأتي في قصة زيد بن حارثة الذي كان قبل يدعى: «زيد بن محمد» حتى أنزل الله: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ» (الأحزاب ٤٠) فقطع نسبه وانتسابه منه، فأخبر في هذه الآية أن المؤمنين كلهم أولاد للرسول-صلى الله عليه وسلم-، فلا مزية لأحد عن أحد، وإن انقطع عن أحدهم انتساب الدعوة فإن النسب الايماني لم ينقطع عنه، فلا يحزن ولا يأسف. وترتب على أن زوجات الرسول أمهات المؤمنين، أنهن لا يحللن لأحد من بعده، كما صرح بذلك في قوله: «وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا» (الأحزاب ٥٣) (تيسير الكريم الرحمن: ٦/١٩٨و١٩٩).

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

مسائل علم التوحيد

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان، وبعد:

فإن مسائل علم التوحيد تتضمن معرفة الأحكام الشرعية العقدية كأحكام الألوهية، وعصمة الرسل، وقضايا اليوم الآخر، ونحو ذلك. وقد عُنيت كتب العقائد به أعظم عناية، وكُتبت في تحريره وتقريبه -على منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة- مطولات ومختصرات، ومنظومات ومنثورات من زمن السلف وإلى يوم الناس هذا. ولكن قبل أن نتكلم عن هذه المسائل نذكر أولًا: مصادر العقيدة الإسلامية.

القرآن الكريم المصدر الأول للعقيدة والشريعة

القرآن الكريم، هو: المصدر الأول للشريعة أصولها وفروعها، وكل أصل بعده فهو راجع إليه ومعتمد عليه، وهو أفضل الوحي المنزَّل على وجه الإطلاق، وكل ما تضمنه فهو حق وصدق؛ كما قال جل شأنه: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا» (النساء: ١٢٢)، وقال: «وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا» (النساء: ٨٧).

وقد تواتر نقله عن العدول الضابطين، وعامة ما ورد فيه من قضايا العقائد هي نص في معناها ودلالتها؛ إذ لا يتصور أن يترك الله جل جلاله أمر العقائد الدينية غير واضحة، مع أنها أصل الدين ومبناه، وأول الواجبات على العباد، مع تفصيله وتبيينه لأحكام الفروع؛ إذ منزلة العقيدة من الدين منزلة الرأس من الجسد.

وقد نهج القرآن الكريم في إيضاح العقائد طريقين:

الطريق الأول: سياق الآيات القرآنية في مدلولاتها العقدية وسياق الأخبار المسلَّمة التي بلغت من وضوح الدلالة ما لا يتصوَّر معه إنكار أحد لها.

الطريق الثاني: سياق الآيات القرآنية جارية على موازين العقول الصحيحة كما في قوله تعالى: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ» (الأنبياء: ٢٢).

والمعنى: أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدت السماوات والأرض، لكنهما لم تُفسَدا؛ فالنتيجة ليس فيهما آلهة إلا الله.

وعلى هذا فقد جمع القرآن الكريم في دلالته على العقائد الإلهية بين الخبر وموازين العقل الصحيح، خلافًا لما يدَّعيه بعض المتكلمين: من

أن دلالة القرآن دلالة خبرية محضة خالصة. وليس أدلّ على بطلان هذا القول من مجيء نوعي الدلالة العقلية والخبرية في نصوص القرآن الكريم؛ إلا أن الدلالة العقلية القرآنية أكمل وأتم من دلالة الأدلة العقلية المنطقية.

عناية القرآن الكريم بالعقيدة:

القرآن الكريم هو كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور البصائر والأبصار، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه. وهذا كله معلوم من الدين علمًا ضروريًا لا يحتاج إلى استدلال عليه.

وقد أوفى القرآن الكريم على الغاية في بيان العقيدة وتصحيحها في النفوس على أتم وجه وأكمله، وبخاصة في السور المكية، إجمالاً وتفصيلاً. وكان أول ما أنزل وحيًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو سورة العلق: «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ» (العلق: ١، ٢). وهي تتضمن أصول الدين والعقيدة من الأدلة العقلية والفطرية والشرعية على وجود الله تعالى وتوحيده، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وإثبات البعث.

وفي سائر سور القرآن الكريم، نجد السورة الواحدة تجمع أركان العقيدة بأصول عامة تبين أركان الإيمان-وأعظمها الإيمان بالله تعالى-، وما يتفرع عن هذه الأركان وينضم إليها، أو يكون من مقتضياتها ومستلزماتها، وتضع كذلك الإجابة الصحيحة الحاسمة عن الأسئلة التي تفسر للإنسان أصل وجوده ونشأته وغايته التي يسعى إليها، والمصير الذي ينتهي إليه بعد رحلته في هذه الحياة، وتحدد علاقته بالله تعالى وبالكون وبالحياة والأحياء من حوله.

يقول الإمام الشاطبي: "وغالب السور المكية تقرّر ثلاثة معانٍ، أصلها معنى واحد، وهو الدعاء إلى عبادة الله وتوحيده.

وبيان ذلك كما يلي:

المعنى الأول: تقرير الوحدانية لله الواحد الحق، غير أنه يأتي على وجوه؛ كنفي الشريك بإطلاق، أو نفيه بقيد ما ادّعاه الكفار في وقائع مختلفة، من كونه مُقرّبًا إلى الله زلفى، أو كونه ولدًا، أو غير ذلك من أنواع الدعاوى الفاسدة.

المعنى الثاني: تقرير النبوة للنبي محمد-صلى الله عليه وسلم-، وهذا هو المعنى الثاني الذي قررته آيات القرآن في العقيدة؛ قررت نبوة النبي-صلى الله عليه وسلم- وأنه رسول الله إليهم جميعًا، صادق فيما جاء به من عند الله، وهذا المعنى وارد على وجوه أيضًا؛ كإثبات كونه رسولاً-صلى الله عليه وسلم- حقًا، ونفي ما ادّعوه عليه من أنه كاذب، أو ساحر، أو مجنون، أو يُعلّمه بشر، أو ما أشبه ذلك من كفرهم وعنادهم.

المعنى الثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة، وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة، والردّ على من أنكر ذلك بكل وجه يمكن الكافر إنكاره به، فردّ بكل وجه يلزم الحجة، ويبكت الخصم، ويوضّح الأمر.

فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المُنزَّل من القرآن بمكة في عامة الأمر، وما ظهر ببادي الرأي خروجه عنها، فراجع إليها في محصول الأمر. ويتبع ذلك: الترغيب والترهيب، والأمثال والقصص، وذكر الجنة والنار، ووصف يوم القيامة، وأشباه ذلك.

وإذا كانت العقيدة هي الموضوع الأساسي الرئيس في السور المكية، فإنها كذلك موضوع رئيس في السور المدنية التي تنزلت؛ لتُعالج قضايا تشريعية تُعرض من خلال هذه العقيدة ومقتضى الإيمان بالله تعالى.

ومن هنا، فإن الحديث عن العقيدة لم ينقطع في المدينة؛ لأنه ليس حديثًا يُذكر في مبدأ الطريق ثم ينتقل منه إلى موضوع آخر، إنما يُذكر في مبدأ الطريق، ثم ينتقل معه إلى كل موضوع آخر.

أساليب القرآن في الحديث عن الوحدانية والتوحيد:

جاءت أساليب القرآن في هذا الباب على غاية التفنن والإبداع؛ تلطفًا في استدعاء الناس إلى التوحيد، وتأليفًا لقلوبهم، ولفتًا لأسماعهم وأبصارهم، وإقامة للحجة عليهم بكل الأساليب.

ومن ذلك:

الأسلوب الأول: أسلوب الخبر المجرد؛ بيانًا للحق، وإعلامًا للخلق. كما قال تعالى: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ» (الفاتحة: ٢).

الأسلوب الثاني: أسلوب الخبر المؤكد: والمؤكدات التي جاء بها القرآن في شأن الوحدانية والتوحيد كثيرة متنوعة. ومنها: التأكيد بـ «إن»، التأكيد باللام، التأكيد بالقسم. ومثالها جميعًا قول الله تعالى: «وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ» (الصافات: ١-٥).

التأكيد أيضًا بأساليب القصر، وهو من ألوان المؤكدات: كأسلوب النفي والاستثناء؛ كقول الله تعالى: «إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ» (طه: ١٤).

وأسلوب القصر أيضًا بالتقديم والتأخير: كقوله تعالى: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (الفاتحة: ٥) فتقديم المفعول: «إيَّاكَ» أفاد قصر العبادة على الله تعالى وحده.

الأسلوب الثالث: أسلوب الأمثال، وهو باب في القرآن الكريم، يُقصد به تقرير المعاني في نفس السامع، وتصويرها في صورة محسوسة ملموسة عن طريق التشبيه، أو الاستعارة أو غيرهما من أساليب البيان، ومن ذلك: قوله تعالى: «مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ» (العنكبوت: ٤١).

الأسلوب الرابع: أسلوب المحاورة، وهو الذي يورد فيه الحديث عن التوحيد من خلال حوار يجري بين طرفين أو أكثر، فيتقرر في النفس أكثر من الخبر المجرد. قال تعالى: «وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا» (مريم: ٤١-٤٢).

الأسلوب الخامس: أسلوب القصة، وهو أسلوب من أوسع أساليب القرآن في التوحيد وغيره، وقد عُنِيَ القرآن الكريم بهذا الأسلوب وأكثر منه؛ لما للقصة من تأثير في النفوس، وسهولة في الحفظ، وانتشار وذيوع بين الناس، وأوضح مثال لذلك قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه وأصنامهم وتحطيمه لها، وتقريره للتوحيد من خلال المشاهد المتتابعة التي جرت بينه وبين قومه كما قصَّ الله علينا ذلك في عديد من سور القرآن الكريم.

ومن ذلك قول الله تعالى: «قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (الأنبياء ٦٦-٦٧). وللحديث صلة إن شاء الله تعالى،

والحمد لله رب العالمين.

الإسلام واستخلاف الإنسان في المال والغرب ووقف جونثر الثالث

إعداد **د. أيمن خليل**
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم واستنّ بسُنّتهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد جُبِلَ الإنسان على حبِّ المال، ولذا يقول الله -سبحانه وتعالى- عنه: (وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ) (سورة العاديات: ٨)، ويقول سبحانه مصوّرًا حب الإنسان للمال: (وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا) (سورة الفجر: ٢٠)، ويبيّن لنا -سبحانه وتعالى- أن الإنسان مُحِبّ للمال بكل صوره، وأن حبّه للمال فطرة خُلِقَ عليها كحبه لأبنائه ونسائه فيقول: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ) (سورة آل عمران: ١٤).

والمولى -عز وجل- لم يصادم هذه الفطرة وإنما جعل للمال وظيفة يتعدى نفعها صاحبها لنفع المجتمع، وليكون المال مطية للآخرة؛ فيقول سبحانه: (ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا) (سورة الكهف:٤٦). فلم ينفِ أن المال زينة ومتاع لصاحبه، وإنما وجَّه نظر الإنسان إلى قِصَر عمره وزوال مِلْكه لماله، وأن عليه أن يجعل المال مطيةَ لأُخراه التي هي دار مقامه، وأن ما عند الله في الآخرة دائم لا يزول.

الإسلام لم يصادم الناس في فطرة حب المال وإنما قوّمها:

لم تصادم الشريعة الإسلامية الناس في حبّهم للمال، وإنما نظمت هذه المحبة ووضعت لها إطارًا وضوابط يتملك بها الإنسان المالَ، ويكون للمال وظيفة اجتماعية، ويكون المال مطية لصاحبه للفوز برضوان الله في الآخرة، وذلك حتى لا تؤدي محبة المال إلى إفساد صاحبها وخسارته للدنيا والآخرة، فحذّر -سبحانه وتعالى- من أن يُفتَن الإنسان بالمال فيطغى بسببه؛ لأن ذلك عامل فساد ودمار له، فقال عز وجل: (كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ (٦) أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ) (سورة العلق: ٦و٧)، وبيّن سبحانه طبيعة الإنسان وشدة تعلُّقه بالمال وجَزعه من الفقر والحاجة، وهو ما يجعله يطغى ويبخل حال غناه، ويذل ويخضع حال فقره، فيقول -سبحانه وتعالى-: (إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا) (سورة المعارج: ١٩و٢١).

> **لم تصادم الشريعة الإسلامية الناس في حبّهم للمال، وإنما نظمت هذه المحبة ووضعت لها إطارًا وضوابط يتملك بها الإنسان المال.**

قال ابن كثير في تفسيره لهاتين الآيتين: ".. إذا أصابه الضُّرَ فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وَأيسَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْرٌ، (وَإذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) أي: إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها (تفسير ابن كثير/ج٨، ص ٢٤٠).

مفهوم المال في الإسلام:

المال في الإسلام لا يكفي أن يميل إليه الطبع ويجري فيه البذل والمنع، ويمكن حيازته والانتفاع به ليكون مالاً، وإنما يجب أن يباح الانتفاع به شرعًا، وإلا لم يكن مالاً.

فالمولى سبحانه هو الذي بيّن ما يكون مالاً وما لا يكون كذلك، فالأعيان المحرمة ليست مالاً، ولا يجوز التصرف فيها ولا الانتفاع بها كالخمر والخنزير والميتة وأدوات اللهو المحرم.

ولذا قسم الفقهاء المالَ إلى متقوَّم وغير متقوَّم، فما أباحه المولى سبحانه للإنسان فهو مال متقوَّم وما حرمه عليه فليس بمال عند المسلم فلا يجوز أن يكون محلاً للعقود والتصرفات، ولا يضمنه بالإتلاف، ويشهد لذلك حديث عمر -رضي الله عنه- يقول: "قاتل الله فلانًا، ألم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لعن الله اليهود حُرِمَت عليهم الشحوم، فجملوها فباعوها" (متفق عليه).

ومن القواعد الثابتة التي انعقد عليها الإجماع: أن الله إذا حرَّم أكل شيء ولم يُبح الانتفاع به حرَّم ثمنه كالخمر والخنزير، وأما ما يحرم أكله، ولكن يُباح الانتفاع به كالحمر الأهلية والبغال فيخرج من التحريم، ويجوز بيعه ويحل ثمنه، ولكن لا يحل أكله.

استخلاف الإنسان في المال:

يُوقن المسلم أن المال الذي بيده ليس ملكًا خالصًا له، كما يوقن بأن يده على هذا المال ليست مطلقة؛ فهو لا يملك التصرف في هذا المال على النحو الذي يشاء، وإنما هو مقيَّد في ذلك بأوامر الله سبحانه وتعالى. فالمولى سبحانه هو المالك لهذا الكون بما فيه، وملك الله سبحانه دائم لا يزول، بخلاف تملُّك الإنسان العارض الزائل

المقيد بحدود الزمان (عمر الإنسان) وقدرته المحدودة على التصرف.

فالملكية الحقيقية للمال إنما هي لله سبحانه وتعالى دون سواه وإنما الإنسان مستخلف في هذا المال، إذ يقول عز وجل: (ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ) (سورة الحديد: الآية ٧).

ويقول جل في علاه: (وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ) (سورة النور: الآية ٣٣)، فأضاف سبحانه المال إليه ليبيّن أنه سبحانه هو المالك له، وبيّن أنه هو الذي ملّكه للإنسان ولذا أمَره فيه بما يشاء.

كما بيّن سبحانه وتعالى أنه استخلف الإنسان في هذا المال وأمره بالإنفاق منه رغم أن الإنفاق سيؤدي إلى استهلاك المال، فبيان الاستخلاف هدفه التأكيد على أن الإنسان له تمليك الانتفاع، بما يقتضيه ذلك من حق التصرف وحق الاستهلاك وحق الاستثمار؛ ولكن هذا الإذن بالانتفاع والتصرف يأتي على الكيفية التي بيّنها المالك الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، وأن الإنسان مسؤول ومُحاسَب عن هذا المال؛ من أين اكتسبه وفيما أنفقه.

وقد ضرب المولى سبحانه الأمثال من حياة الأفراد والجماعات السابقة التى لم تنتبه إلى استخلافها في المال، فأفسدها المال وأدّى بها إلى الكفر والطغيان، وذلك فى مثل قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف، وقصة قارون في سورة القصص، وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم.

> **الإنسان مسؤول ومُحاسَب عن هذا المال؛ من أين اكتسبه وفيما أنفقه.**

وبيّن سبحانه وتعالى المصير الذى آل إليه هؤلاء ليعتبر المسلمون فلا يسلكوا سبيلهم.

وحينما يوقن الإنسان بملكية الله للمال، وبأنه مُستخلَف فيه وأنه ليس حرًا يصنع في ماله ما يشاء وإنما هو مقيد بأوامر الشرع، فإن معاملاته تعكس هذه العقيدة فتتم وفقًا لأحكام الشرع، وحينما يعلم أن هذا المال له وظيفة اجتماعية فإن هذه المعاملات تظهر فيها الأخلاق التي يجب أن يكون عليها المسلمون في كل شؤونهم، ولذلك يجب أن تخلو المعاملات في المجتمع المسلم من الربا، والقمار، والغرر، وكذلك من الغش بكل صوره، فقد نهى النبي عن الغش في المعاملات؛ فقد أخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال: أصابته السماء، يا رسول الله. قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ مَن غشَّ فليس مني"(صحيح مسلم).

وانطلاقًا من ملكية الله -سبحانه وتعالى- للمال واستخلاف الإنسان فيه أوجب المولى سبحانه في هذا المال الزكاة، وندب فيه إلى الصدقة وصلة الرحم وصور البر المختلفة، وبيّن ما يجوز أن ينفق فيه وما لا يجوز، فلا يجوز أن ينفق المال في محرم كثمن لخمر أو مخدرات، أو خنزير، أو لإقامة تمثال، ولا أن يستأجر به قين (مغنية)، ولا ينفقه في الحفلات والملاهي المحرمة المسماة زورًا "ترفيهًا وفنًّا"، والتي ينتشر فيها السفور،

ويختلط الرجال بالنساء، ويزول فيها الحياء، وتنتهك فيها الحرمات، ولا أن يدفع الملايين إلى البطالين المتفرغين للهو واللعب تحت مسمى الرياضة، وأولى بهذه الأموال المسلمون الذين يتعرضون للإبادة والتجويع، وأولى بها أيضًا الكادحون كعمال البناء، وعمال الأفران الذين يلتظون باللهب في القيظ والحر ليخرجوا الخبز لمواطنيهم، والأيدي الكادحة التي تنتج لأهل بلادها من المزارعين وأرباب الحرف الكادحين، وغيرهم من النافعين لأوطانهم مع ضيق الحال بهم.

ولا يجوز للمسلم الإسراف في إنفاق المال، ولا السَفه في بذله، ولذا شُرع الحجر على السفيه حفاظًا على المال.

ولا يقف تنظيم الإسلام للمال في حياة الإنسان فقط، وإنما عند زوال ملك الإنسان فقد بين المولى سبحانه وتعالى من خلال تشريع الإرث من ينتقل إليه المال من قرابته بمقدار محدد دقيق لا قول معه لمتقول. ولذا فهو لا يملك زيادة نصيب من يحب من ورثته، ولا يملك حرمان من لا يحب من ورثته، بل ويستوي في الإرث المحسن والمسيء؛ والبارّ والعاق، لأنه مستخلف في المال من الله تعالى.

الوظيفة الاجتماعية للمال في المجتمع الإسلامي:

للمال وظيفة اجتماعية شديدة الأهمية؛ ففي هذا المال حقّ لكل فقير ومسكين بالزكاة والصدقة، والصحابة -رضي الله عنهم- كان الغنى من مقاصدهم، ولكن كان المال كله مسخرًا لخدمة الدين، فهذا أبو بكر -رضي الله عنه- يشتري الذين أسلموا من العبيد ويعتقهم، وما تمّت توسعة المسجد في المدينة النبوية إلا بمال عثمان -رضي الله عنه-، وما شرب المسلمون الماء العذب من بئر رومة إلا بماله، وما تجهز جيش العسرة إلا بمال أبي بكر وعثمان وطلحة وغيرهم.

فالمال في المجتمع الإسلامي لا يختص به صاحبه، لأنه يُوقن بأنه مستخلف فيه، ولذا فله وظيفة اجتماعية تتعدى صاحبه إلى نفع غيره.

ولذلك جعل الله سبحانه خراج الأرض التي فتحت صلحًا بغير قتال في مصارف يتحقق بها كفاية الفقراء والأيتام والمساكين في المجتمع فقال تعالى: (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ) (سورة الحشر: ٧).

> للمال وظيفة اجتماعية شديدة الأهمية؛ ففي هذا المال حقّ لكل فقير ومسكين بالزكاة والصدقة.

فقضى المولى سبحانه أن لا يُحتكر المال في أيدي قلة محدودة داخل المجتمع، ولذا افتتح عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- العراق فأشار عليه المسلمون أن يقسم السواد وأهل الأهواز وما افتتح من المدن؛ فقال لهم: فما يكون لمن جاء من المسلمين؟ فترك الأرض وأهلها، وضرب عليهم الجزية، وأخذ الخراج من الأرض.

فعمر -رضي الله عنه- لم يقسم الأرض على الفاتحين؛ لأنه نظر إلى الوظيفة الاجتماعية للمال، ولذا فحرصًا على الأجيال القادمة أوقفها بأيدي أهلها وفرض عليها الخراج وهو

أشبه بالضريبة السنوية، وجعل العطاء في بيت مال المسلمين لكل أفراد الأمة الإسلامية، وهي أول مرة تُعطي الدولة عطاءً سنويًا لمواطنيها (ليس أجرًا ولا مقابل عمل، بل عطية من بيت المال).

غياب مفهوم الاستخلاف في ظل المادية الغربية:

انفرد الإسلام بمفهوم الاستخلاف في المال، وغاب هذا المفهوم بالكلية عن الغرب الذي طغت فيه المادية، ومع انتشار الإلحاد، عاث الناس فسادًا في المال، ولم يقف الأمر عند إهلاكه في كافة المحرمات ومبارزة المولى سبحانه بالمعاصي طيلة حياتهم، وانما امتد هذا الأمر إلى ما بعد موتهم، فخلافًا للإسلام الذي شرع نظامًا دقيقًا محكمًا، وهو الارث الذي يبيّن كيفية انتقال المال من الميت إلى قرابته ونصيب كل وارث؛ نجد الغرب وقد أطلق يد المالك في التصرف في ماله في حياته وحال موته، فيحدد من يرثه ومن لا يرثه، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى صرف كافة أملاكهم إلى الحيوانات، حتى صار ما بحوزة بعض الحيوانات أكثر مما يملكه الملايين من البشر مجتمعين، وفي الوقت الذي يعاني مئات الملايين يرضخون تحت خط الفقر، تتنعم بعض هذه الحيوانات في القصور الفارهة، وهذا ما دعا بموسوعة جينيس للأرقام القياسية إلى إدراج الحيوانات الأغنى بهذه القائمة.

تركت الكونتيسة النمساوية Karlotta Lieberstein ثروتها، لكلبها جونتر الثالث -من فصيلة الراعي الألماني- ولذريته من بعده (وهو ما يشبه الوقف)، وقد توفي هذا الكلب فآلت التركة إلى ابنه جونتر الرابع GUNTHER IV، والذي يعد أغنى حيوانات في العالم بثروة تقدر بنحو ٤٠٠ مليون دولار، ويمتلك فيلا في جزر البهاما وقصرًا في ميامي، وله فريق من الخدم والطهاة. ولدى جونتر أيضًا شركته الخاصة، التي يدير موظفوها أصوله، حرصًا على استمرار نموّ ثروته وذريته من بعده!!!

ويليه في الثراء الكلب TOBY RIMES توبى ريمس والذي يعيش في نيويورك، ويأتي في المرتبة الثانية بثروة قدرها ٩٠ مليون جنيه إسترليني، ورثها عن آبائه بعدما قررت السيدة "إيلا ويندل" ترك ثروة لجده الأكبر عام ١٩٣١م كانت تقدر بنحو ٣٠ مليون جنيه إسترليني، وظللت هذه الثروة تتوارث حتى وصلت إلى "توبى ريمس".

وإزاء هذه الترهات لا نعجب حينما نجد الورثة يقاضون أحد الكلاب لاستئثاره بالتركة دونهم، فحينما تركت السيدة "ليونا هيمسلى" سلسلة فنادق هلمسلي الشهيرة ثروة لكلبها المالطي المسمى "ترابل" تقدر بنحو ١٢ مليون دولار بعد وفاتها في عام ٢٠٠٧م، أقام أحفادها دعوى قضائية بدعوى أنها تعاني من مشكلة نفسية، وانتهى القضاء إلى إعطاء الكلب ٢ مليون فقط في حين تم إعطاء ١٠ ملايين جنيه إسترليني لأحفادها. ثم أثار هذا الكلب مشكلة أخرى حيث مات ولا يعلم إلى من تنتقل ثروته، وفي نهاية الأمر عادت الأموال المخصصة لرعايته إلى مؤسسة ليونا هلمسلي الخيرية!!!

كما تركت الممثلة الأمريكية "بيتي وايت"

لكلبتها مبلغ ٥ ملايين جنيه إسترليني.

ولا يقتصر الأمر على الكلاب فقط، فقد أوصت الكونتيسة "باتريشيا أونيل" للقرد "كالو" KALU - وهو أحد قرود المكاك البرتغالية طويلة الذيل -بمبلغ ٩٠ مليون جنيه إسترليني، ومزرعة بأستراليا، وبعد وفاتها يعيش حاليًا في إحدى المنتجعات في جنوب أفريقيا.

وأوصى المغني الأمريكي مايكل جاكسون للشمبانزي الذي كان يملكه بمبلغ ٢ مليون دولار.

كما تركت أرملة إيطالية تدعى "ماريا أسونتا" ثروتها التي تقدر بـ١٣ مليون جنيه إسترليني ومجموعة من الممتلكات في إيطاليا، لأحد قطط الشوارع الذي قدم إليها فأقام في بيتها، فحرمت قرابتها من الإرث ومنحتها لهذا القط.

ووصل الأمر إلى الدجاج حيث تمتلك الدجاجة "جيجو" GIGOO ثروة قدرها ١٠ ملايين جنيه إسترليني، بعدما قرر صاحبها الناشر البريطاني مايلز بلاكويل ترك جزء من ثروته لها.

وفي الوقت الذي تهدر فيه ثروات العديد من الدول النامية فإن هذه الحيوانات تقوم شركة متخصصة بالإشراف على الصناديق الاستثمارية المخصصة لتنمية ثروات هذه الحيوانات.

وحرمان القرابة من الإرث وجعله لهذه الحيوانات، إنما ينبع من غياب مفهوم الاستخلاف في المال، وشيوع مفهوم الحرية في أقصى ذروته؛ فالإنسان هو الذي يحدد من يرثه ومن لا يرثه لخلو شريعته من هذا التنظيم الدقيق، ويضاف لذلك انتشار الإلحاد في الغرب، ولذا يتصرف المالك في ماله كيف يشاء لظنه أنه غير مُحاسَب عن ذلك، وهو ما نتج عنه ما عرضنا له.

وفي عصور الكنيسة الأولى لم يكن هناك منهج محدد يتبع لقسمة التركات، وإنما جرى العمل على تقسيم التركة على الورثة وفقًا لاحتياجهم، فيتم توزيع الجزء الأكبر من الميراث على من هو أكثر احتياجًا، والجزء الأقل لمن هو أقل احتياجًا، وكان أفراد الأسرة يستعينون بالكنيسة وبآبائها، عند توزيع الميراث.

ويذهب ببعض رجال الدين المعاصرين أن أفضل الطرق لتوزيع الميراث هي أن يقسمه الشخص في حياته، على أن يوزع بعد وفاته، وأنه على الأب أن يعطي الجزء الأكبر لمن لديه احتياج أكبر، وألا يكون التوزيع على أساس من هم أكثر ارتباطا واهتمامًا بالأب.

ولا شك أن هذا أمر يتناقض مع تنظيم الإسلام الدقيق للمال في حياة الإنسان وبعد مماته، فقد حدد الورثة تحديدًا دقيقًا ذكر فيه الفروض كالثمن والسدس والربع والثلث والنصف والثلثين، ومن يستحق ذلك من أصحاب الفروض، وحدَّد العصبات بأنواعهم المختلفة (عاصب بنفسه، وعاصب بغيره، وعاصب مع غيره) ودرجاتهم وطبقاتهم، وذلك في إطار استخلاف الإنسان في هذا المال، والمملوك في الحقيقة لله جل في علاه؛ فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والحمد لله رب العالمين.

الدعاء في الصلاة (٣)

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ اللهِ علِّمْني كلامًا أقولُه.

قال: قُلْ: لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، اللهُ أكبَرُ كبيرًا والحمدُ للهِ كثيرًا وسُبحانَ اللهِ ربِّ العالمينَ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللهِ العليِّ العظيمِ العزيزِ الحكيمِ.

قال: هؤلاءِ لربِّي، فما لي؟

قال: قُلِ: اللَّهمَّ اغفرْ لي وارحَمْني واهدِني وارزُقْني.

رواه مسلم عن موسى الجهني، عن مصعب بن سعد، عن أبيه. قالَ مُوسَى: أَمَّا (عَافِنِي) فأنَا أتَوَهَّمُ وما أدْرِي. يعني: هل ورد فيها لفظة (وعافني) أم لا؟

وعن طارق بن أشيم الأشجعي أنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، كيفَ أقُولُ حِينَ أسْأَلُ رَبِّي؟ قالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وارْزُقْنِي. وَيَجْمَعُ أصَابِعَهُ إلاَّ الإبْهَامَ؛ فإنَّ هَؤُلاءِ تَجْمَعُ لكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ. رواه مسلم.

والراوي عن طارق الأشجعي هو ولده أبو مالك الأشجعي واسمه سعد بن طارق، وقد تعددت رواياته. وفيها أنه كان يُعلِّم مَن أسْلَم هذه الدعوات.

وعن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يُعلِّم مَن أسْلَم يقول:

اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني.

وفي رواية عن أبي مالك الأشجعي، عن أبيه، قال: كان الرجل إذا أسلم، علَّمه النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة، ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: "اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وعافني وارزقني"

وهذه جميعًا رواها مسلم في صحيحه.

وروى أبو داود عن عبد الله بن أبي أوفى قال: جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني

لا أستطيعُ أن آخذ من القرآن شيئًا، فعلّمني ما يُجزئني منه. قال: قُلْ: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إلهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

قال: يا رسولَ الله، هذا لله-عز وجل-، فما لي؟ قال: قُلْ: اللهمَّ ارحمْني، وارزُقْني، وعافِني، واهدِني.

فلما قامَ قال هكذا بيده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمّا هذا فقد ملأ يديه من الخير. والحديث حسّنه الألباني.

ما يقال بين السجدتين

قيل للإمام أحمد: ما يقولُ بين السجدتين؟

قال: "رب اغفر لي، رب اغفر لي" لحديث حذيفة، وإن شاء قال: اللهم اغفر لي وارحمني وعافني واهدني وارزقني؛ لأن كليهما يُذكران عن النبي صلى الله عليه وسلم بين السجدتين.

وقال أبو داود: قلت لأحمد ما يقولُ بين السجدتين؟

قال: ربِّ اغفر لي.

قلتُ: في الفريضة؟

قال: نعم.

قلتُ: وإنْ كان خلف الإمام؟

قال: نعم.

قيل فيطيلُ بين السجدتين؟

قال: يقولُ: ربِّ اغفر لي. (مسائل أبي داود: ٢٤٠).

وقال ابن هانئ: وسألته (أي: أحمد بن حنبل) عن الإمام إذا صلى بقوم يقول: ربنا اغفر لنا؟ أي ليعم المصلين معه بالدعاء ولا يخص به نفسه. قال: أما الذي سمعنا: رب اغفر لي، رب اغفر لي، وما سمعنا: رب اغفر لنا.

قال الألباني: وكان صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الجلسة: اللهم-وفي لفظ ربّ- اغفر لي، وارحمني، واجبرني، وارفعني، واهدني، وعافني، وارزقني.

وتارة يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي، وكان يقولهما في صلاة الليل. انتهى.

وحديث حذيفة فيما يقال بين السّجدتين رواه النسائي وابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين: "رب اغفر لي، رب اغفر لي". وحديث ابن عباس فيما يقال بين السّجدتين: أخرجه أصحاب السُّنن إلا النسائي، وألفاظه مُتقاربة، وبينها اختلافات يسيرة.

وقد وردت الروايات بتقديم بعض الألفاظ على بعض، وفي بعضها اقتصر على بعض الألفاظ دون البعض. ففي سنن ابن ماجه عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ في صلاة اللَّيل: رَبِّ اغْفِرْ لي، وارْحَمْني، وَاجْبُرْني، وارْزُقْني وارْفَعْني. بدون: واهدني وعافني.

وعند الترمذي عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي، وارْحَمْني، واجْبُرْني، واهْدني وارْزُقْني. بدون: وعافني وارفعني.

وفي مسند أحمد من حديثه -رضي الله عنه- واصفًا صلاة النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثُمَّ رفع رأسه، قال: فكانَ يقولُ فيما بيْنَ السّجدتيْن: ربِّ اغْفرْ لي، وارْحمْني، واجْبُرْني، وارْفعْني، وارْزُقْني، واهْدني. بدون: وعافني

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس: أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم كان يقُولُ بيْنَ السَّجدتيْن: اللَّهُمَّ اغْفر لي، وارْحمْني وعافني، واهْدني، وارْزُقْني. بدون: وارفعني واجبرني.

فبان بما ذكرنا من الروايات أن جميع تلك الألفاظ واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكلها صحيحة: كما ذكر الألباني.

وتقديم بعضها على بعض لا حرج فيه، والإتيان

بهذا الذكر تارة وهذا تارة حسن، والجمع بينهما حسن أيضًا لا حرج فيه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا الدُّعاء بين السَّجدتين في صلاة الليل. ولكن هل ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يقوله في الفريضة؟ لم ترد رواية صريحة في أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك في الفريضة. ومع هذا فأكثر أهل العلم على أنه يقال في الفريضة أيضًا.

قال الشافعي وأحمد يُقال في المكتوبة، وفي التَّطوع.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان يُصلي صلاةً طويلةً، وكان جلوسه بين السَّجدتين قريبًا من سجوده

فعند أبي داود: وكان صلى الله عليه وسلم يقعد ما بين السجدتين نحوًا من سجوده، فهذا يعني: أنَّه صلى الله عليه وسلم كان يُردد هذا الدُّعاء.

قوله: اللهم اغفر لي

وطلب المغفرة-الاستغفار- أمرٌ مؤكَّدٌ في الصَّلاة؛ حيث إنَّـه جاء في مواضع مُتعددة: كالركوع، والسُّجود، وبين السَّجدتين، وبعد التَّشهد وغير ذلك، فهو من الأمور المطلوبة.

وكذلك حينما ينصرف من صلاته أيضًا فإنَّه يستغفر ثلاثًا. والغفر يتضمن السَّتر والوقاية، فالعبد ذنوبه كثيرة، وتقصيره في حقِّ الله كبيرٌ، ومهما فعل فإنَّه لا يُـؤدي حقَّ الله وشُكر نعمته عليه، فهو بحاجةٍ إلى استغفارٍ من هذا التَّقصير، والنَّعم مُتتابعة وكثيرة؛ قال الله عز وجل: «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» (إبراهيم:٣٤)، «وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النحل: ١٨). فمهما حاولتم حصرَ نعم الله عليكم لا تفُوا بحَصْرها؛ لكثرتها وتنوعها.

إن الله لغفور لكم رحيم بكم؛ إذ يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر هذه النعم، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة.

فيحتاج العبد إلى استغفارٍ إزاء هذا التَّقصير الكثير في شُكر هذه النِّعم. إضافةً إلى أنَّ العبد قد يستعمل شيئًا من ذلك في معصية الله.

فيستحضر هذه المعاني: اللهم اغفر لي ذنوبي، اغفر لي تقصيري، اغفر لي غفلتي اغفر لي إسرافي في أمري.

وأطلق: "اغفر لي"، لم يقل: من كذا وكذا؛ ليشمل كل الذنوب الكبار والصِّغار، ما قدَّمتُ، وما أخَّرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، ما أعلمه، وما لا أعلمه، وما أنت أعلم به مني، ما أستحضره، وما لا يحضرني ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره.

قوله: وارحمني

كان هذا أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين طلب المغفرة والرحمة، وكانت آخر دعوة دعا بها النبي قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى.

ففي الصحيحين من حديث عائشة أنها سمعت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ، يقول: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى".

فالمغفرة والرحمة متلازمتان؛ فإنَّ الله-تبارك وتعالى- إذا رحم عبدًا غفر له ذنوبه؛ فإنَّ الله إذا رحم العبدَ هداه، ووفَّقه، وسدَّده، وعافاه، وأنعم عليه، وأجاب سُؤله، وبلَّغه المراتب العالية، وساق إليه ألطافه، وصرفه في محابِّه، وشغله بذكره وطاعته، فيكون العبدُ هاديًا مهديًا، مُسدَّدًا، راشدًا، مُوفَّقًا، مُشتغلاً بما يُرضي الله تعالى.

ودخول الجنَّة إنما هو برحمة الله، وكلُّ ما يتقلب فيه العبادُ من هذه النِّعم إنما هو برحمة الله وما يصرف عنه من الشُّرور والآفات من رحمته تبارك وتعالى.

قوله: "واهدني":

فيدخل هنا الهداية بالعلم الصَّحيح؛ أن يعرف إلى ما يهتدي وكيف يهتدي إلى ما ينفعه، ويُصلحه، ويرفعه، أن يعرف كيف يهتدي إلى محابِّ الله، أن يهتدي إلى الصَّواب فيما اختلف النَّاسُ فيه، وأن يهتدي إلى أفضل الأعمال، ثم بعد ذلك يُوفَّق إلى القيام والنُّهوض بها على الوجه الذي يحبه الله عز وجل ويرضيه.

فالعبدُ يحتاج إلى كل هذه الهدايات: الهداية إلى تفاصيل الصِّراط، الهداية إلى الأعمال الزَّاكية الصَّالحة التي يُحبُّها الله، هداية العلم.

ويحتاج أيضًا إلى هداية التَّوفيق، فيكون عاملاً بما علم، يُعان على العمل بما تعلم، هذا بالإضافة إلى التَّثبيت على الصِّراط في هذه الحياة الدنيا إلى المات، ثم يحتاج إلى هدايات أخرى: عند الموت، وعند سؤال الملكين، وعند الحساب، هداية إلى الصِّراط، وعلى الصِّراط، هداية إلى باب الجنَّة، إلى منازله في الجنَّة؛ قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ» (محمد: ٤-٥).

يهديهم بعدما قُتلوا إلى الجنة ولهذا يقولون في الجنة: «الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله»؛ فهذه هداية بعد الموت.

قوله: وعافني:

هنا يدخل أنواع المعافاة؛ المعافاة أن يُعافى الإنسان في دينه، فيسلم من البدع، والضَّلالات، والشُّرور، والمعاصي، والشُّبهات، والزَّيغ، وأنواع الضَّلال، الإنسان يسأل ربَّه العافية في الدنيا والآخرة.

ويدخل فيه أيضًا المعافاة من الابتلاء قبل وقوع البلاء وبعد وقوعه فالابتلاء لا بدَّ منه، ولكن العبد قد لا يصبر معه، فيحتاج إلى العافية، فالإنسان يسأل ربَّه العافية، فلا يتمنَّى البلاء؛ ولهذا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتُموهم فاصبروا".

قوله: وارزقني:

والرزق يكون في المال والولد والزوجة الصالحة، ويكون كذلك في الهداية للإيمان والتقوى. وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحُول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلِّغنا به جنتك، ومن اليقين ما تُهوِّن به علينا مصيبات الدنيا".

قوله: واجبرني:

والجبر: جبر الكسير، جبر الضَّعيف، اجبر ضعفي، اجبر قلبي، فإذا جبر اللهُ عبدًا فإنَّ ضعفه يتحوَّل إلى قوة، وحزنه يتحوَّل إلى أنسٍ، وراحةٍ، وسرورٍ، وسعادةٍ، وتؤول أحوالُه إلى سدادٍ.

فالله-تبارك وتعالى- هو الذي يجبر أصحابَ القلوب المنكسرة، ويجبر الفقير فيُغنيه، ويُوليه، ويُعطيه.

قوله: وارفعني:

يعني: في الدَّارين، وليس المقصودُ بالرِّفعة: العلوّ في الأرض، وإنما يرفعه بالإيمان والعمل الصَّالح، فلا يكون مهينًا، وإنما العزَّة لله، ولرسوله، وللمؤمنين، فالمؤمن لا يكون ذليلاً مهينًا.

فهذا كلُه مما يُقال بين السَّجدتين.

وينبغي للعاقل أن يستحضر هذه المعاني في صلاته؛ فإنَّ ذلك يكون له بالغ الأثر، واستحضار هذه المعاني والدعاء بها بحضور قلب ويقين مما يعين على الخشوع.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

حقيقة الإخلاص لله تعالى

إعداد أ.عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن إخلاص العمل لله تبارك وتعالى من أعظم أصول هذا الدين، ويُعدُّ الإخلاص من أهم أعمال القلوب، وأعظمها قدرًا وشأنًا، فبحسب الإخلاص يُقبل عمل العبد أو يُردّ عليه. وهذا الدين كله يقوم على الإخلاص، يقول الله جل وعلا: «وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» (البينة: ٥)، وقال تبارك وتعالى: «قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ» (الزمر:١١)، وقال سبحانه وتعالى: «قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى» (الزمر:١٤).

والإخلاص لُبُّ الأعمالِ وروحها، وله ثمراتٌ عظيمة في دنيا المسلم وآخرته؛ إذ بالإخلاص تطمئن القلوب، وتهدأ النفوس؛ لأنها تعامل علام الغيوب، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، والذي يعلم السر وأخفى، فيرجون بعملهم كله وجه ربهم سبحانه، شعارهم دائمًا قوله تعالى: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا» (الإنسان: ٩).

معنى الإخلاص وحقيقته:

قال ابن القيم: "الإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة" (مدارج السالكين ٢/٩١).

وقال ابن رجب: "الإخلاص في اللغة ترك الريا، وفي الاصطلاح: تخليص القلب عن شائبة الرياء والسمعة المكدر لصفائه". (القواعد ١/١٦٥).

الإخلاص، أن تكون الحياة لله، وأن يكون الممات لله، وأن تكون الصلاة لله، وأن يكون النسك والعبادة كلها خالصة لوجه الله، لا تُصرف لأحدٍ، ولا لبشر، ولا لحجر، ولا لبقر، ولا لطاغوت، ولا لوثن، ولا لأحد من الناس كائنًا من كان، هذه هي العبادة لله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (الفاتحة:٥).

منزلة الإخلاص وأهميته:

لا بد من إخلاص النية لله في أي عمل يعمله العبد. قال تعالى: «وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ» (البينة: ٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) (صحيح البخاري: ١)، وقال صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه؛ وهو كله للذي أشرك). (أخرجه مسلم ٢٩٨٥).

ولا بد في إخلاص العمل من أن يكون هذا العمل مما شرعه الله على لسان رسوله-صلى الله عليه وسلم- يقول تعالى: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ »(آل عمران: ٣١). ويقول-صلى الله عليه وسلم-: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، وفي لفظ في صحيح مسلم أيضًا: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (أخرجه مسلم ١٧١٨).

وبالإخلاص والمتابعة يتحصن المسلم من ألد أعدائه ألا وهو الرياء والبدعة والشرك. يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: (فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول-صلى الله عليه وسلم-). (شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٠٠).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وبالجملة فمعنا أصلان عظيمان؛ أحدهما: أن لا نعبد إلا الله. والثاني: أن لا نعبده إلا بما شرع. لا نعبده بعبادة مبتدعة. وهذان الأصلان هما تحقيقُ (شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله) كما قال تعالى: « لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ». قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه. قالوا. يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإن كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة. وذلك تحقيق قوله تعالى: « فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ١/٣٣٣-٣٣٤).

ولذلك اشترط رسول الله صلى الله عليه وسلم الإخلاص كشرط أساس لقبول الله للعمل من العبد، فبيَّن صلى الله عليه وسلم أن من أشرك في نيته وقصده لله ولغيره، فإن الله سبحانه لا يقبل منه هذا العمل حتى لو كان عظيمًا، فعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعريِّ رضي الله عنه، قال: سُئلَ رسولُ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- عن الرَّجُلِ يُقاتلُ شجاعةً، ويُقاتلُ حميَّةً، ويُقاتلُ رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسُول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ قاتل لتكون كلمةُ الله هي العُليا، فهو في سبيل الله". (أخرجه البخاري ٣١٢٦، ومسلم ١٩٠٤).

من علامات الإخلاص:

١- أن يبتغي المسلم الأجر من الله تعالى وحده: فلا يبحث عن شهرة، ولا مكانة اجتماعية، ولا زعامة، ولا ثناء الناس عليه، قال تعالى على لسان بعض الأنبياء في القرآن الكريم: « وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ » (الشعراء: ١٠٩)، وقال الإمام الشافعي-رحمه الله-: (وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم، وما نسب إليَّ شيءٍ منه). (إكمال تهذيب الكمال: ١/١٨٥).

٢- أن يكون عمل السر عنده أفضل من العلانية: ففي الحديث عن أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (ورجل تصدق بصدقة فأخفاها فلا تعلم شماله ما أنفقت يمينه) (أخرجه البخاري ٦٢٩، ومسلم ١٠٣١)، فلما أخفى صدقته وأخلص فيها لله تعالى، رفع الله قدره وأظله في ظله.

٣- إساءة الظن بالنفس، واتهامها بالتقصير: فالمخلص من العباد من يأتي بجميع العبادات على أحسن وجه، ومع ذلك هو خائف أن لا يتقبل الله منه عمله يوم القيامة، كما قال تعالى: « وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ » (المؤمنون: ٦٠).

٤- استواء المدح والذم: فالمخلص يقوم بجميع أعماله على ما يرضى الله تعالى-ثم بعد ذلك لا يبالى أرضى الناس أم سخطوا، مدحوا أم ذموا. وكان بَعْضُ السَّلَفِ يَقُولُ فِي الرَّجُلِ يُمْدَحُ فِي وَجْهِهِ، قَالَ: "التَّوْبَةُ مِنْهُ أَنْ يَقُولَ: اللهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ". (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٥٣٤).

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

حضارة أهل الطغيان في بيان هدهد سليمان

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد؛ فإن نظرة الإكبار والإعجاب بحضارة الغرب قد بلغت شأوًا كبيرًا، واحتلت حيزًا من القلوب عميقًا، وفتنت خلقًا كثيرًا، بما رأوا من صناعة متقدمة، وأبنية متطورة، ومراكب فارهة، وهذا التطور لا شك أنه أمر محمود وسبيل للنهوض له مردود، والله تعالى قد فتح باب العلو في الدنيا لمن أخذ بأسباب النهوض؛ «مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ» (هود: ١٥).

ولكن لا يليق بمسلم أن تطغى عنده الرؤية المادية على رؤية الحقيقة العقدية، فننسى ما هم عليه من الكفر لافتناننا بحضارة زائلة وزينة زائفة، فالمسلم عالٍ بإيمانه حتى لو كان أقل الناس منزلاً أو مركبًا أو بنيانًا، فهو في علوّ بعقيدته وإيمانه بالله، فيرى نفسه في منزلة رفيعة، ويرى الكفر في دركة وضيعة، وأن أهله في سفول وحياة قبيحة، فلا تغرّه مظاهر الطغيان، ولا تصدّه نوائب الدهر والزمان، فيُبصر الأمور بحقيقتها، وتطغى عنده مشاهد الكفر على كلّ متاع الدنيا وبهجتها.

فالحال عنده كحال هدهد سليمان رأى مشهدًا قبيحا أفسد عليه رؤية البنيان وزينة العرش والمكان، وها هو الهدهد يحكي ما جرى معه لسليمان كما جاء في القرآن العظيم.

قال الله تعالى: «وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ» (النمل: ٢٠- ٢٦).

قال المفسرون: العرش السرير الضخم كان مضروبًا من الذهب مكللاً بالدر.

«وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ» يؤتاه الملوك من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع ونحو ذلك. إن كلام هدهد سليمان قد فاق الوصف، فهذا حيوان فطر على التسبيح والعبادة لما رأى ملك بلقيس وما فيه من الأعاجيب لم تفتنه هذه الحضارة ولم تؤثر فيه صورة العرش بعظمته؛ إذ كل ذلك تلاشى مع رؤية منظر الكفر الصريح وهم يسجدون للشمس.

قارن بين رؤية الهدهد ورؤية المفتونين اليوم بحضارة الغرب، لما رأوا ما وصلوا إليه من حضارة أعمتهم المدنية عن رؤية الكفر الذي هم عليه؛ فذابوا في المجتمعات الكافرة، ولم يروا قباحة الكفر، وأنه لا تنفع معه حضارة ولا بنيان ولا صناعة.

إن الشريعة تُرسّخ فينا مبدأ مهمًا لنرى الأمور على حقيقتها، فقبح الشرك أعظم من كل الحضارة التي نشاهدها

ولهذا ترى في القرآن الكريم آيات واضحات تنهانا عن الافتتان بالكفر؛ إذ كانوا أكثر منا أولادًا أو أعظم منا بنيانًا؛ قال تعالى: «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ» (التوبة: ٥٥).

والمعنى في الآية جاء في آية أخرى: «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ» (المؤمنون: ٥٥، ٥٦).

وقد نهانا الله عن الاغترار بالنعيم الذي هم فيه؛ فقال تعالى: «لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٩٧) لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ» (آل عمران: ١٩٦- ١٩٨)؛ أي: لا تَنْظُروا إلى ما هؤلاء الكفار مُترفون فيه، من النَّعْمة والغِبطة والسُّرور، فعمّا قليل يزول هذا كُلُّه عنهم، ويُصْبِحُون مُرتهنين بأعمالِهِمُ السَّيِّئة، فإنما نَمُدّ لَهُمْ فيما هُمْ فيه استدراجًا، وجميعُ ما هُمْ فيه «مَتاعٌ قَليلٌ ثُمَّ مأْواهُمْ جهَنَّمُ وبِئْسَ المِهادُ».

فالله-سبحانه وتعالى- ميّز الإنسان عن الحيوان بنعمة الهداية، فإذا لم يأخذ بها وقد توفرت أسباب الهداية وقامت الحجة عليه؛ فهو شر من الأنعام، قال الله تعالى: «وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» (الأعراف: ١٧٩)؛ هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يُبصرون الهدى، كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها إلا في الذي يعيشها من ظاهر الحياة الدنيا، وربما كانت طباع الحيوانات خيرًا من طباع هؤلاء وأسلم وأقبل للخير، ولهذا جعلهم الله سبحانه شر الدواب؛ فقال تعالى: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢) وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ» (الأنفال: ٢٢- ٢٣).

والإنسان إنَّما يُميَّز على غيره من الحيوانات بفضيلة العلم والبيان وإلاّ فغيره من الدوابّ والسِّباع أكثر أكلاً منهُ وأقوى بطشًا، وأكثر جمعًا وأولادًا، وأطول أعمارًا، وإنَّما مُيِّز على الدَّوابِّ والحيوانات بعلمه وبيانه، فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدَّوابِّ وهي الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم، بل قد يبقى شرًّا منهم.

قال عطاء بن أبي رباح -رحمه الله-: "الأنعام تعرف الله، والكافر لا يعرفه". ولهذا جعل الأكثرين أضل سبيلاً من الأنعام؛ لأنها تتبع قائدها وتهتدي الطريق، وأما الكفار فدعاهم الرسل للطريق والهداية فلم يتبعوهم، بل لم يفرقوا بين ما يضرها من النبات أو الطريق وبين ما ينفعها منه، فتجتنب الأول وتؤثر الثاني. والله تعالى لم يُعط البهائم قلوبا تفقه بها، ولا ألسنة تنطق بها وأعطى ذلك للكفار ثم لم ينتفعوا به فصاروا أضل من البهائم؛ لأنهم لم يهتدوا مع وجود الأدلة.

إن غياب هذه الرؤية التي نقلها لنا هدهد سليمان عن كثير من أبناء المسلمين قد أضرَ بهم كثيرًا، فلذا تميعت مظاهر الولاء للمسلم ومظاهر البراء من الكافر، لأنهم لا يرون الكافر بميزان العقيدة، وإنما بمظاهر الدنيا؛ فقلدوهم وأحبّوهم وتشبهوا بهم.

إن البلية كل البلية أن تنقض عرى الإسلام، وإنما نقضها يكون بأناس نشأوا في الإسلام ولم يعرفوا الجاهلية فاختلط عندهم أمر الحق بالباطل، كما قال عمر-رضي الله عنه-: "إنَّما تنقض عرى الْإِسْلَام عُرْوَة عروة؛ إذا نشأ في الْإِسْلَام من لم يعرف الْجَاهِلِيَّة".

وهذا من كمال علم عمر-رضي الله عنه-؛ فإنَّهُ إذا لم يعرف الْجَاهِلِيَّة وحكمها، وهُو كل ما خالف ما جاء به الرَّسول فإنَّه من الْجاهلِيَة، وهي منسوبة إلى الْجهْل، وكل مَا خالف الرَّسُول فهُو من الْجهْل، فمن لم يعرف سَبِيل الْمُجْرمين ولم تستبن لَهُ أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنَّها من سَبِيل الْمُؤمنِينَ.

من نشأ في الْإِسْـلَام غير عالم تفصيل ضدَه فالْتبس عليْه بعض تفاصيل سَبِيل الْمُؤمنِين بسبيل الْمُجْرمين؛ فَإِن اللّبْس إنَّما يقع إِذا ضعف الْعلم بالسبيلين أو أحدهمَا.

مع أن السبيل واضح جليَ في كتاب الله، قال الله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ» (الأنعام: ٥٥).

وَالله تعَالَى قد بَيَّن في كتَابه سَبيل الْمؤمنين مفصَلة، وسبيل الْمُجْرمين مفصَلة، وعاقبة هَؤُلَاء مفصَلة وعاقبة هؤُلَاء مفصلة، وأعمال هَـؤُلَاء وأعمال هَـؤُلَاء، وأولياء هَـؤُلَاء وأولياء هَـؤُلَاء وخذلانـه لـهَـؤُلَاء وتوفيقه لـهَـؤُلَاء، وَالْأَسْبَاب الَّتِي وفَق بهَا هَؤُلَاء والأسباب الَّتِي خذل بهَا هَؤُلَاء، وأوضح -سُبْحَانَهُ- الْأَمريْن في كتَابه وكشفهما وأوضحهما وبيَّنهما غَايَة الْبَيَان حتَّى شاهدتهما البصائر كمشاهدة الْأَبْصَار للضياء والظلام.

فالعالمون بِالله وكتابه ودينه عرفُوا سَبِيل الْمُؤمـنِينَ معرفَة تفصيلية وسبيل الْمُجْرمين معرفَة تفصيلية فاستبانت لَهُم السبيلان كَمَا يستبين للسالك الطَّرِيق الْموصل إِلَى مَقْصُوده والطَّرِيق الْموصل إِلَـى الهلكة. (الفوائد لابن القيم).

فما أحوجنا لنتدبر كلام الهدهد وما فيه مـن البصائر، وأن نتيقن بأننا وإن ضعفنا واستُبيحت مقدساتنا؛ فلا سبيل إلا بتنقية العقول والقلوب مما يُفسد الضمائر، ويحيى فينا عقيدة الأوائل، حتى وإن أظلمت الدنيا واشتدت الرذائل، فربَ الكون قادر على تغيير ما نحن فيه من محَن وقلاقل، والله وحده هو مَن ينصر عباده الموحدين، وهو القوي ذو القوة المتين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إلهاب الحماس
للتنافس في قضاء حوائج الناس

إعداد المستشار أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد. ما يزال الحديث متصلاً عن أهمية وفضل قضاء حوائج الناس فنقول وبالله تعالى التوفيق: الفضيلة الثالثة: قضاء حوائج الناس من هدي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، خير الأمة بعد نبيها، وهم خير القرون، والتابعون، وتابعوا التابعين خير القرون بعد قرن الصحابة، وقد كان هدى هؤلاء جميعا التنافس في قضاء حوائج الناس، وليس أدل على ذلك من الأمثلة الآتية:

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

أ- خَرَجَ أبو بَكْرٍ مُهاجِرًا نَحْوَ أرْضِ الحَبَشَةِ، حتَّى إذا بَلَغَ بَرْكَ الغِمادِ لَقِيَهُ ابنُ الدَّغِنَةِ وهو سَيِّدُ القارَةِ، فقالَ: أيْنَ تُرِيدُ يا أبا بَكْرٍ؟ فقالَ أبو بَكْرٍ: أخْرَجَنِي قَوْمِي، فأُرِيدُ أنْ أسِيحَ في الأرْضِ وأَعْبُدَ رَبِّي، قالَ ابنُ الدَّغِنَةِ: فإنَّ مِثْلَكَ يا أبا بَكْرٍ لا يَخْرُجُ ولا يُخْرَجُ، إنَّكَ تَكْسِبُ المَعْدُومَ وتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ وتَقْرِي الضَّيْفَ وتُعِينُ على نَوائِبِ الحَقِّ، فأنا لكَ جارٌ ارْجِعْ، واعْبُدْ رَبَّكَ ببَلَدِكَ.

"تحمل الكَلَّ" الكَلَّ أصله الثقل، «وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ» (النحل: ٧٦). ويدخل في هذا الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال وهو الإعياء. "وتكسب المعدوم" تعطيه مالاً، ويجد الناس عندك مالا يجدون عند غيرك، "تَقْري الضيف" تُكرمه، يقال للطعام المقدم للضيف: "قِرًا". "وتعين على نوائب الحق" جمع نائبة، وهي الحادثة، ما يحدث في الناس من المصائب، قال: "مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُج" باختياره؛ لأنه صاحب نفع مُتعدٍّ لأهل البلد "ولا يُخْرَج" بغير اختياره.

ب - ذكر السيوطي رحمه الله في "تاريخ الخلفاء": أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتعهد عجوزًا كبيرةً عمياءَ في بعض نواحي المدينة بالليل، فيسقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة؛ كيلا يُسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة".

٢ - عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قال أسلم (مولى عمر): إن عمر بن الخطاب طاف ليلة، فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون، وإذا قدر على النار قدر ملأتها ماء، فدنا عمر ابن الخطاب من الباب، فقال: يا أمة الله، لماذا بكاء هؤلاء الصبيان؟ فقالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذه القِدر التي على النار؟ فقالت: قد جعلت فيها ماءً أُعللهم بها حتى يناموا، أوهمهم أن فيها شيئًا من دقيق وسمن، فجلس عمر فبكى، ثم جاء إلى دار الصدقة، فأخذ غرارة (أي كيسًا كبيرًا) وجعل فيها شيئًا من دقيق وسمن وشحم، وتمر وثياب ودراهم، حتى ملأ الغرارة.

ثم قال: يا أسلم، احمل عليَّ، فقلت: يا أمير المؤمنين،

أنا أحمله عنك! فقال لي: لا أمّ لك يا أسلم، أنا أحمله؛ لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة. قال: فحمله على عنقه، حتى أتى به منزل المرأة. قال: وأخذ القدر، فجعل فيها شيئًا من دقيق، وشيئًا من شحم وتمر، وجعل يحركه بيده، وينفخ تحت القدر. قال أسلم: وكانت لحيته عظيمة، فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته، حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثم خرج وربض (جلس) بحذائهم كأنه سبع، وخفت منه أن أكلمه، فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا، ثم قال: يا أسلم، أتدري لم ربضت بحذائهم؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين. قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي. (تاريخ دمشق؛ لابن عساكر).

٣- عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

عن عبد الله بن عمران الفريعي قال: سمعت مجاهدًا، يقول: صحبت ابن عمر رحمه الله وأنا أريد، أن أخدمه، فكان يخدمني أكثر (رواه أحمد في كتاب الزهد).

٤- الأنصار رضي الله عنهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قومًا أبذل من كثير ولا أحسن مواساةً من قليل (أي من مال قليل) من قوم (أي الأنصار) نزلنا بين أظهرهم (أي عندهم): لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ (أي: أحسنوا إلينا؛ سواء كانوا كثيري المال، أو فقيري الحال) حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم". (رواه الترمذي، وصححه الألباني).

قال المباركفوري في "تحفة الأحوذي": قال الطيبي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: (لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم)، معناه: ليس الأمر كما زعمتم؛ فإنكم إذا أثنيتم عليهم شكرًا لصنيعهم ودمتم عليه، فقد جازيتموهم".

٥- التابعون وتابعوهم:

لقد كان التابعون حريصين على قضاء حوائج الناس، وليس أدل على ذلك من الأمثلة الآتية:

أ- محمد بن علي بن أبي طالب:

قال محمد ابن الحنفية رحمه الله (ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه): "أيها الناس، اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم الله عز وجل إليكم، فلا تملوها فتتحول نقمًا، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخرًا، وأورث ذكرًا، وأوجب أجرًا، ولو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسنًا جميلاً يسُرُّ الناظرين، ويفوق العالمين" (شعب الإيمان؛ للبيهقي).

ب- على بن الحسين:

قال أبو نعيم الأصبهاني رحمه الله في "حلية الأولياء": «حدثنا حبيب بن الحسن، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثنا محمد بن ميمون، قال: ثنا سفيان، عن أبي حمزة الثمالي، قال: كان علي بن الحسين: يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به، ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل.

هـ- الحسن البصرى:

قال كلثوم بن جوشن رحمه الله: استعان رجل بالحسن البصري في حاجة، فخرج معه، فقال الرجل: إني استعنت بابن سيرين وفرقد، فقالا: حتى نشهد الجنازة، ثم نخرج معك، قال: أما إنهما لو مشيا معك لكان خيرًا" (الطبقات الكبرى؛ لابن سعد).

ز- عبدالله بن شبرمة:

قال أبو حفص الأبار: كان لي عند عبدالله بن شبرمة حاجة، فقضاها، فأتيته أشكره، فقال: على أي شيء تشكرني؟ قلت: قضيت لي حاجة. فقال: اذهب، إذا سألت صديقك حاجة يقدر على قضائها فلم يبذل نفسه وماله، فتوضأ للصلاة، وكبِّر عليه أربعًا، وعُدّه في الموتى؛ (تاريخ دمشق؛ لابن عساكر).

نسأل الله أن يستعملنا في قضاء حوائج الناس.

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

تحذير إلهي من رد سنة خير البرية

قال الله تعالى: «لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣)

من هدي الرسول ﷺ

عن أبي الدَّرداء-رضي الله عنه- قال: سمعت النَّبيَّ-صلى الله عليه وسلم- يقول: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حَسَن، وإنَّ الله ليُبغض الفاحش البذيء» (سنن الترمذي)

من معاني الأحاديث

"صدم" في الحديث «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» رواه مسلم. الصدمة: أي: عند قوة المصيبة وشدتها، والصدم: ضرب الشيء الصلب بمثله. والصدمة المرة منه.

(النهاية لابن الأثير).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"الهوى مغفور لصاحبه ما لم يعمل به أو يتكلم": منكر. أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٢٥٩/٢ و٢٦١/٧).

من أقوال السلف

قال أبو عثمان النَّيسابوري -رحمه الله-: «من أمَّرَ السُّنَة على نفسه قولاً وفعلاً؛ نطق بالحكمة، ومَن أمَّرَ الهوى على نفسه قولاً وفعلاً؛ نطق بالبدعة. قال الله-تعالى-: «وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» (النور: ٥٤).

(الاعتصام للشاطبي).

أهمية طلب العلم النافع

قال مسروق رحمه الله: «بحسب الرَّجل من العلم أن يخشى الله-عزَّ وجلَّ-، وبحسب الرَّجل من الجهل أن يُعجَب بعلمه» (العلم لزهير بن حرب).

من دلائل النبوة

الرسول يخبر بالفتوحات قبل وقوعها

عن نافع بن عتبة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله"

(رواه مسلم).

من دعاء النبي ﷺ

عن فروة بن نوفل الأشجعيَ، قال: سألت عائشة عمّا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به الله. قالت: كان يقول: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ ما عملت، ومن شرّ ما لم أعمل»

(صحيح مسلم).

اعداد: علاء خضر

حكم ومواعظ

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-: «الذّكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السّمك إذا فارق الماء»

(الوابل الصيب لابن القيم).

من تفاسير السلف

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: « فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ » (الذاريات: ٥٠)، أي الجأوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه.

(تفسير القرآن العظيم).

من فضائل الصحابة

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد جهل السنة.

فضائل الصحابة للدارقطني

من حكمة الشعر

قال يحيى بن خالد في فضل طلب العلم:

تعلّمْ وخذ من كل علم فإنما
يفوق امرؤ في كل فن له علم
فأنت عدو للذي أنت جاهل
به ولعلم أنت تتقنه سلم

(أدب الدنيا والدين)

صفات المخبتين في الكتاب المبين

أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فجديرٌ بالمؤمن أن يتدبَّر كتاب ربه، ويُقبل عليه بقلبه، ويتأملَّ تلك الأوصاف التي أثنى الله على أصحابها، وبشَّرَ بالفوز والنعيم مَن كان من أهلها، وعلى المؤمن أيضا أن يحرص على تحصيل تلك الأوصاف؛ لينال ما وعد الله به، ووعده حق وصدق ولا خلف لوعده.

إذا أعجبتك خصال امرئٍ
فكنه يكنْ منك ما يعجبك
فليس على الجود والمكرمات
إذا جئتها حاجب يحجبك

ومن هذه الأوصاف التي أثنى الله على أهلها، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُبَشِّر الموصوفين بها صفة الإخبات وذلك ﬞ قوله جلَّ ذكره: (إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ)(سورة هود:٢٣)، وقوله تعالى: (وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ (٣٤) ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ) (سورة الحج:٣٤-٣٥)، وقوله تعالى: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ (٥٣) وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (سورة الحج:٥٢-٥٤).

وأصل مادة الإخبات كما ذكر ابن فارس ﬞ مقاييس اللغة(٢/٢٣٨) يدل على خشوع.

وقال الراغب في مفرداته ص٢٧٢: " الخبت: المطمئن من الأرض، وأخبت الرجل: قصد الخبت، أو نزله، نحو: أسهل وأنجد، ثم استعمل الإخبات استعمال اللين والتواضع".

وبهذا يتبين أن المؤمن حين يوصف بأنه "مُخبتٌ" فهذا معناه أنه مطمئن قد سكنت نفسه إلى ربه، لا تقر عينه إلا بطاعته، ولا تأنس جوارحه إلا بمرضاته عز وجل، ليس لديه شك أو عنده ريب في إيمانه بربه، وركونه إلى شرعه، إنه - حقا- راض بقضاء الله مستسلم لشرعه.

وهو أيضا متواضع خاضع لله عز وجل لا يتكبر على شرعه، ولا يتعالى على عبادته، وهو أيضا متواضع لخلق الله لين هين ليس بفظ ولا غليظ. قال القرطبي في تفسيره (٢١/٩) بقوله: "أصل الإخبات الاستواء، من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة؛ فالإخبات الخشوع والاطمئنان، أو الإنابة إلى الله عز وجل المستمرة ذلك على استواء".

وهذا الإخبات ثمرة المعرفة بالله والعلم به ومن كان بالله أعلم كان له أعظم إخلاصا وإخباتا، ولشرعه أسرع قبولا واستسلاما.

وإذا تأملت قوله تعالى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) عرفت أن الإخبات ثمرة للعلم والايمان وهو زيادة في الطمأنينة والخشية واليقين، ولزوم التواضع والانقياد والانكسار لرب العالمين.

والمخبت ملازم لخشية الله تعالى، والإنابة إليه بالاستقامة على طاعته، واجتناب معصيته.

ولا شك أن خير ما نعرف منه صفات المخبتين القرآن الكريم، وذلك أن الله سبحانه قد ذكر لنا صفات أولئك المخبتين بعد أن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتبشيرهم فقال عز من قائل: (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (سورة الحج:٣٤-٣٥).

فانظر كيف أن الله سبحانه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتبشيرهم، ولم يذكر المبشر به وهو الفوز الكبير، والنعيم المقيم؛ لأنه معلوم وقد صرح به كما في قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا) (سورة الأحزاب:٤٧). أو لأن المقصود هنا إثبات الأمر بالبشارة وادخال السرور على قلوب المخبتين، وللدلالة على فخامة هذا المبشر به، وأنه فوق وصف الواصفين.

ثم أردف ذلك ببيان صفات المخبتين فذكر لهم أربع صفات:

الصفة الأولى: وجل القلوب عند ذكر الله تعالى

وهذا وصف جليل ينبئ عن عظيم خوف المخبتين من ربهم وخشيتهم له؛ ولذا قال الحسن: الإخبات الخشوع للمخافة الثابتة في القلب.

وهذا الوجل في قلوب المؤمنين حقيقته: استشعار الخوف من الله تعالى، وفزع النفس، واضطرابها خشية الوقوع في سخط الله تعالى.

فصاحبه غير آمن من مكر الله، بل هو معترف بتفريطه في جنب ربه سبحانه.

وانظر إلى حالك أيها الكريم حين تذكر الله، أو يُذكر الله وأنت تسمع كيف يكون تعظيمك له، ووجلك منه، واستشعارك لجلاله وكبريائه، وقوته وعظمته؟

ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله كما في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: " ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" (صحيح البخاري- حديث١٤٢٣، وصحيح مسلم١٠٣١).

وهذا يتحقق للمؤمنين باطلاعهم على أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، واستحضارهم نعم

الله عليهم؛ فيزدادون علما بالله، ومعرفة بحقه فيوجلون عند ذلك كأنهم يرون الله سبحانه، وذلك لقوة يقينهم.

وقد فسَّر الرسول صلى الله عليه وسلم الإحسان فقال: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (جزء من حديث في صحيح البخاري-رقم ٥٠، وصحيح مسلم برقم ٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم أيضا برقم ١ من حديث عمر رضي الله عنه)

الصفة الثانية: الصبر على المصائب

من صفات المخبتين الصبر على المصائب؛ وذلك لأنَّ قلوبهم مطمئنة إلى ربهم مُستسلمة لقضائه. قال تعالى: (وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ) (سورة الحج:٣٥).

قال الثوري: (وبشر المخبتين) قال: المطمئنين الراضين بقضاء الله، المستسلمين له.

ويظهر الفرق بين المخبت وغيره عند هجوم مصيبة على العبد كيف يتلقاها كلٌّ منهما؛ ولذا جاء في حديث أنس رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»، وفي لفظ: " عند أول صدمة" (صحيح البخاري(١٢٨٣)، وصحيح مسلم(٩٢٦)).

وقد وصَى لقمان ابنه فقال: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (سورة لقمان:١٧).

فانظر إلى حالك أيها اللبيب كيف تتلقى الابتلاءات والمصائب أتتلقاها بصبر وثبات، أم بجزع وتضجر؟

وتذكَّر قوله تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧).

الصفة الثالثة: إقامة الصلاة

من صفات المخبتين إقام الصلاة قال تعالى: (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) (سورة الحج: ٣٥).

وهو معنى يزيد عن أداء الصلاة؛ لأن الإقامة من معانيها المُداومة عليها، والهمة في فعلها، وإتمامها برعاية أركانها وشروطها وخشوعها.

وفرق بين صلاة الخاشع، وصلاة المنافق.

قال تعالى:(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)(سورة المؤمنون:١-٢).

وقال تعالى: (إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) (سورة المعارج:١٩-٢٣).

وقال تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا) (النساء:١٤٢).

الصفة الرابعة: الإنفاق مما رزقهم الله

من صفات المخبتين: الإنفاق مما رزقهم الله عزَّ وجلَّ قال تعالى: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ).

وجمعُ المُخْبتين بين هاتين العبادتين: الصلاة والإنفاق- وكثيرا ما يقترنان في القرآن-: دليل على إخلاصهم فإن الصلاة بخشوع إخلاص للمعبود، ودليل على رحمتهم وإحسانهم؛ فإن الإنفاق إحسان للمخلوق.

وعنوان سعادة الإنسان أن يُخلص لرب العالمين، ويُحسنَ إلى المخلوقين.

وأيضا فالصلاة أعظم العبادات البدنية، والإنفاق ورأسه الزكاة أعظم العبادات المالية.

فليكن لك رصيد من الصدقات فإنها دليل على صدق إيمانك، وبرهان على إيقانك.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: " والصدقات برهان" (أخرجه مسلم في صحيحه برقم٢٢٣). هذه هي صفات المخبتين نسأل الله أن يجعلنا من أهلها، وأن يرزقنا الإخبات.

ومن لطيف ما يذكر في هذا المقام ما أورده كثير من علماء التراجم في شأن الربيع بن خيثم: وقد أخرج ابن سعد في الطبقات(٦/١٨٢) من طريق أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود أن الربيع بن خثيم إذا دخل على ابن مسعود لم يكن له إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من صاحبه.

فقال له ابن مسعود: يا أبا يزيد، لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين".

فمن كان هذا الرجل أعني الربيع ليقول فيه ابن مسعود صاحب طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعله وسواكه، ومن كان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته ما قال؟

وما من شكٍّ أنَّ قوله:" لو رآك رسول لأحبك" لم يصدرْ عنه من فراغ وانما لما ذكره من وصفه بالإخبات، وصدق الذهبي حين قال في سير أعلام النبلاء(٤/٢٥٨):" فهذه منقبة عظيمة للربيع" .

ودونك طرفا يسيرا من سيرة هذا الفاضل، بإمكانك أن تعود في ترجمته لتتعرف عنه أكثر، ولترغب في صفات أولئك السابقين المخبتين، وهو من التابعين فكيف بسيرة أصحاب النبي الأمين بله رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم؟!

ذكر ابن سعد في الطبقات(٦/١٨٧) أن الربيع بات يتلو آية من القرآن مر عليها ما يتلو غيرها حتى أصبح (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) (الجاثية: ٢١)، وورد عن هذا عن تميم الداري رضي الله عنه وهذا من وجل القلوب عند ذكر علام الغيوب.

كان الربيع بن خثيم يقاد إلى الصلاة وبه الفالج (وهو شلل يُصيب أحد شقي الْجِسْم طولا) فقيل له: قد رخص لك. قال: إني أسمع (حي على الصلاة). فإن استطعتم أن تأتوها ولو حبوا. (سير أعلام النبلاء (٤/٢٦٠)).

وهذا من حب الصلاة، والحرص على إقامتها جماعة في المسجد، ومن الصبر الجميل على المصاب مع أنه معذور ومرخص له في التخلف عن الجماعة على القول بوجوبها عينا.

وها هو الرَّبِيع بن خثيم كما في الطبقات لابن سعد(٦/١٨٢) يقول لأهله: اصنعوا لنا خَبيصا-وهي: الْحَلْوَاء المخبُوصة من التَّمْر وَالسمن-وكان لا يكاد يتشهى عليهم شيئا قال: فصنعوه قال: وأرسل إلى جار له مصاب كان به خبل فجعل يلقمه ولعابه يسيل فلما خرج قال أهله: تكلفنا وصنعنا ثم أطعمت هذا ما يدري هذا ما أكل، فقال الربيع: ولكنَّ الله يدري "أي: يعلم وهذا هو الجود والإنفاق مما يحب الإنسان، والإخلاص وقصد الله بالعمل، ولا غرو فمن أقوال الربيع المشهورة عنه كما في ترجمته:"كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل .

ولا أطيل عليك بأكثر من ذلك، وحسبي أن تعلم أن تلك الصفات الي وصف الله بها عباده المخبتين حرص الصالحون على تحصيلها، وتحقيقها في حياتهم، فعلى الدرب سر، ولا تستطل الطريق فيضعف مشيك، والموفق من وفقه الله.

نسأل الله التوفيق والسداد والهدى والرشاد.

السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر للكاتب الصحفي:

محمد فهمي عبد اللطيف

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ) (سبأ: ١). والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وامام المرسلين، ومن تبعه إلى يوم الدين.

وبعد: فقد أطلعني بعض فضلاء الشيوخ على كتاب طريف استماله للكاتب الصحفي الأستاذ: محمد فهمي عبد اللطيف.

إعداد **د. محمد عبد العزيز**
رئيس فرع العاشر

نبذة عن الكاتب -رحمه الله تعالى-:

والأستاذ: محمد فهمي عبد اللطيف كاتب صحفي كتب في صحف: الجهاد، وأخبار اليوم، والثقافة، والجديد، وعمل في صحيفة "المصري" التي كانت من كبريات الصحف المصرية انتشارًا وتوزيعًا آنذاك قبل ثورة: يوليو١٩٥٢م، وكان يكتب افتتاحية صحيفة "الأخبار"، وهذه الافتتاحية كانت أحد الأعمدة الرئيسة التي قامت عليها صحيفة الأخبار في فترة الستينيات، والسبعينيات وأوائل الثمانينيات من القرن العشرين.

وعُين الأستاذ: فهمي عبد اللطيف عضوًا بالمجلس الأعلى للثقافة، ثم نائبًا لرئيس تحرير جريدة الأخبار، وترأس مجلة الإذاعة والتليفزيون، وانتُدب الأستاذ للتدريس في كلية اللغة العربية في قسم الصحافة والإعلام الذي افتتح سنة: ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

وقد توفي الأستاذ: محمد فهمي عبد اللطيف يوم الأحد: ١٩ربيع الآخر ١٤٠٤هـ-٢٢ يناير ١٩٨٤م عن عمر يناهز السبعين

عامًا.

نبذة عن الكتاب:

أما الكتاب فهو بعنوان: السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر، وقد صدرت الطبعة الأولى منه عام: ١٩٤٨م، وهو من منشورات المركز العربي للصحافة بالقاهرة، وصدرت الطبعة الثانية منه سنة: ١٩٧٩م.

والكتاب يتضمن تأريخًا مختصرًا لحركة التصوف في مصر واستغلال العلويين لها لتثبيت أركان حكمهم، ويبيِّن ازدهار التصوف أوقات الاحتلال الأجنبي للبلاد، ويبيِّن تشجيع الاحتلال لهذا الفرقة، وقد سبقه إلى هذا التنبيه بعض المؤرخين، منهم: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (المتوفى: ١٢٣٧هـ) في كتابيه: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٢/٢٠١، ٢٤٩)، ومظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس (ص٤٧) فبيَّن أن المستعمرين الفرنسيين عندما احتلوا مصر بقيادة نابليون بونابرت انكمش الصوفية وأصحاب الموالد؛ فقام نابليون وأمرهم بإحيائها، ودعمها بالأموال وحثَّهم على إقامتها (سنة: ١٢١٣ه-١٧٩٨م) في ربيع الأول، من خلال:

١- إرسال نفقات الاحتفالات وقدرها ٣٠٠ ريال فرنسي إلى منزل الشيخ البكري (نقيب الأشراف في مصر) بحي الأزبكية.

٢ - أرسلت أيضًا إليه الطبول الضخمة والقناديل.

٣ - في الليل أقيمت الألعاب النارية احتفالاً بالمولد النبوي.

وعاود نابليون الاحتفال به في العام التالي؛ لاستمالة قلوب المصريين إلى الحملة الفرنسية وقوادها.

أما لماذا فعل الفرنسيون ذلك؟! فيقول الجبرتي في تاريخ عجائب الآثار (٢/٣٠٦): «ورخَّص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات والتلاهي وفعل المحرمات».

ويتضمن الكتاب بشكل رئيس ترجمة للسيد البدوي وبعض تلاميذه، وأثر التصوف والخرافة على المجتمع... إلخ كما سيأتي في استعراض فصول الكتاب.

وقد أثنى على هذا الكتاب بعد صدوره كثير من أهل العلم، ومنهم فضيلة الشيخ المصلح: محمد حامد الفقي الرئيس العام المؤسس لجمعية أنصار السنة المحمدية، بل وجعله مادة لخطبه شهرين، ولا شك أن كثيرًا من المتصوفة آنذاك لم يعجبهم ما تضمَّنه هذا الكتاب؛ ولذا فقد انبروا للرد عليه واتهام صاحبه بما هو منه بريء، ولقد سجل الكاتب هذا الأثر للكتاب بعد ما يزيد عن ثلاثين عامًا من صدوره في طبعته الأولى عام: ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م، وذلك في مقدمة الطبعة الثانية للكتاب عام: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ودعني أقتطف لك جزءًا من مقدمته الجزلة التي يبين فيها هذا الأثر -وإن كان في النقل بعض الإطالة-، قال المؤلف في مقدمة الطبعة الثانية (ص ٣-٤): «صدر هذا الكتاب في طبعته الأولى منذ أكثر من ثلاثين عامًا، أو على التحديد في عام: ١٩٤٨. فأثار ضجة كبيرة كان من الطبيعي، أن تحدث، وكنت أتوقعها قبل أن تحدث؛ لأن موضوع هذا الكتاب يعالج قضية تتصل بالمشاعر العميقة للشعب، وتتناول تلك الأوهام والخرافات

التي زرعها الجهل في وجدان هذا الشعب حتى تحولت إلى عقيدة راسخة يدين بها في حياته الدينية والاجتماعية، وليس هذا بالعمل السهل، ولا بالأمر الذي يمكن أن يمضي دون أن يثير الضجيج والصخب، وتبادل الاتهامات.

فعندما صدر هذا الكتاب وقف خطيب الجامع الأحمدي يطعن عليه، ويحكم على مؤلفه بالمروق والإلحاد، وأنه مغضوب عليه من دولة الشيوخ والأولياء، وفي نفس الوقت وقف المرحوم الشيخ: حامد الفقي، رئيس جماعة السنة المحمدية يخطب الجمعة عنه زهاء شهرين ويثني على الكتاب ومؤلفه، ويقول: إنه خير كتاب يصحح عقائد الناس، ويطهّر معتقداتهم من الأوهام والخرافات.

وعلى إثر صدور هذا الكتاب صدرت سبعة كتب عن السيد البدوي:

منها: كتابان في تأييد الدعوة التي تضمنها الكتاب.

وخمسة في مناقضته وشتم مؤلفه.

والذي لا شك فيه أن هذا الكتاب قد خلق تيارًا فكريًا أثار اهتمام الباحثين بهذا الموضوع، وما زال مثار اهتمامهم الكبير بالبحث والدراسة».

فصول الكتاب:

الكتاب يقع في أربع وثمانين ومئة صفحة (١٨٤ صفحة)، ويتألف من مقدمة، وتمهيد، وثماني فصول، وخاتمة، ومسرد للمصادر والمراجع، وفهرسًا للموضوعات.

أما فصول الكتاب فهي:

التمهيد: ساق فيه واقعة حكاها الجبرتي تبيّن أثر الخرافة في حياة الناس.

الفصل الأول: العلويون واستغلالهم للتصوف في طلب الحكم.

الفصل الثاني: حياة السيد وسيرته.

الفصل الثالث: تعليقات وتفسيرات.

الفصل الرابع: شخصية السيد.

الفصل الخامس: أتباع السيد ومريدوه.

الفصل السادس: موالد السيد ومواكبه.

الفصل السابع: نتائج وآثار.

الفصل الثامن: إصلاح واجب.

واليك استعراض مختصر للكتاب مع شيء من التعليق:

أما الفصل التمهيدي فقد ساق فيه الكاتب قصة عجيبة توضح أثر الوهم في حياة أفراد المجتمع حين سيطر على الحياة الدينية والاجتماعية الدراويش؛ فأشاعوا فيه الخرافات تحت أسماء شتى، وانقسم المنتسبون إلى العلم آنذاك إلى فئات ثلاثة:

الأولى: المتصوفة الداخلون في البدع المتأثرون بالخرافات.

الثانية: العلماء المتصوفة الذين لهم تأثُّر بالسنة فلا يُقرون كثيرًا من البدع والمحدثات سواء كانت علمية أو عملية.

الثالثة: العلماء المتمسكون بالسُّنة الخالصة القائمون عليها.

فالفئة الأولى كانت هي المسيطرة على كثير من فئات المجتمع حينئذٍ، وهي من تولى كِبر إشاعة البدع والمحدثات والخرافات مع كثير من المتعبدين الجهلة وسط العامة، وسأضرب لك مثالاً واحدًا على هذه الفئة من المنتسبين إلى العلم يوضح لك الأمر، وهو الشيخ: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي، الشَّعْراني (المتوفى: ٩٧٣ هـ) صاحب كتاب: "لواقح

الأنوار في طبقات الأخيار المعروف بـ: الطبقات الكبرى"، وسأسوق لك من كتابه مثالين اثنين تعرف بهما كيف تنتشر الخرافة. قال في ترجمته لسيده عليّ وحيش (١٤٩/٢): «وكان إذا رأى شيخ بلد، أو غيره ينزله من على الحمار، ويقول: امسك رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض ولا يستطيع أن يمشي خطوة، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه».

وأنا لا أريد أن أعلق على هذا الفحش والإجرام الذي يسوقه في ترجمة رجل يدّعي أنه أحد العارفين بالله.

وقال في ترجمة سيده شعبان المجذوب الذي ادّعى فيه أنه من أهل التصريف بمصر المحروسة، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل، قال (١٨٥/٢): «وكان يقرأ سورًا غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا يُنكر عليه أحد، وكان العاميّ يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل».

وليس لأحد أن يعترض من العامة على فعله والا "فمن اعترض انطرد ... ومن باح راح".

وأما الفئة الثانية والثالثة فقد كانت تنكر على هؤلاء البدع والحوادث والخرافات؛ فيُسمَع لهم حينًا ويُرَدّ قولهم حينًا آخر.

عود على بدء:

أما الحكاية التي ساقها ليدلل بها عن العقلية الفكرية في تلك الحقبة من التاريخ فهي ما ساقه الجبرتي في كتابه: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (٢١٩/١-٢٢٠): «في يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة آخر سنة: ١١٤٧هـ أشيع في الناس بمصر بأن القيامة قائمة يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجة وفشا هذا الكلام في الناس قاطبة حتى في القرى والأرياف وودع الناس بعضهم بعضًا.

ويقول الإنسان: لرفيقه بقي من عمرنا يومان وخرج الكثير من الناس والمخاليع الغيطان والمنتزهات ويقول بعضهم لبعض: دعونا نعمل حظًّا ونودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة.

وطلع أهل الجيزة نساء ورجالاً وصاروا يغتسلون في البحر.

ومن الناس من علاه الحزن وداخله الوهم، ومنهم من صار يتوب من ذنوبه ويدعو ويبتهل ويصلي.

واعتقدوا ذلك ووقع صدقه في نفوسهم، ومن قال لهم: خلاف ذلك أو قال: هذا كذب لا يلتفتون لقوله ويقولون هذا صحيح، وقاله فلان اليهودي، وفلان القبطي، وهما يعرفان في الجفور والزابرجات، ولا يكذبان في شيء يقولانه، وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذي خرج في يوم كذا.

وفلان ذهب إلى الأمير الفلاني وأخبره بذلك، وقال له: احبسني إلى يوم الجمعة وإن لم تقم القيامة فاقتلني، ونحو ذلك من وساوسهم، وكثر فيهم الهرج والمرج إلى يوم الجمعة المعين المذكور، فلم يقع شيء، ومضى يوم الجمعة وأصبح يوم السبت؛ فانتقلوا يقولون فلان العالم قال: إن سيدي أحمد البدوي والدسوقي والشافعي تشفعوا في ذلك وقبل الله شفاعتهم.

فيقول الآخر: اللهم انفعنا بهم فإننا يا أخي لم نشبع من الدنيا وشارعون نعمل حظًّا».

ورأى الكاتب في هذه الحادثة الغريبة التي

تناقض العقل والنقل معًا تمثيلًا صادقًا لتلك الطبقات التي تقتات بالأوهام، وتستجيب للخرافات والترهات وتمشي تحت تأثيرها ضارعة مذعنة كأنها تتلمس بها النجاة وتستقرئ الغيب، ولو كانت من يهودي وقبطي وقفا عليها في الجفور والزابرجات فتستجيب للشائعة وتعتقد اعتقادًا جازمًا بقيام الساعة.

[والجفور: جمع جفر وهو جلد يعتقدون أن الإمام علي أو جعفر الصادق كتب فيه الأحداث قبل وقوعها، وقد اخترعوا من ذلك الجفر وهو يبحث في الحروف من حيث دلالتها.

والزابرجات: جمع زابرجة، وهي جدول سحري تنجيمي مشهور بالمغرب، اخترعه الصوفي أبو العباس البني، وكتب عنه ابن خلدون في المقدمة.

ثم نفس هذه الجماهير تستجيب للخرافات مرة أخرى عندما تكتشف كذب هذا الخبر فيشاع بينها أن: السيد البدوي، والدسوقي، والشافعي تشفعوا إلى الله في تأجيل قيام الساعة فتمضي آمنة من أهوال القيامة التي كانوا ينتظرونها.

هذه العقلية التي كوّنتها الخرافة فأذعنت لها وطوّعتها لقبول كل ما يقدم إليها فباتت تتلمس الأسباب للركون والاستسلام وأصبحت تتلمس البركة والخير وإجابة الحاجات بسكان القبور والأضرحة قامت في هذا الوسط دولة الدرويش.

قال المؤلف (ص ٩- ١٠): ولقد بلغ من سلطان هؤلاء الدراويش وحُرمتهم عند الشعب أن كانوا يأتون من المناكر والمخزيات فلا يستطيع أحد أن ينكر هذا عليهم أو يناقشهم فيه، بل لقد كان الناس يحسبون ذلك مظهرًا من مظاهر الكرامة لهم، والفضل الذي آثرهم الله به على غيرهم.

ولم يكن هذا بالأمر الغريب؛ لأن الشعوب في طور الانحطاط لا تقدر أن ترتفع ببصرها وبتفكيرها في فهم الدين إلى أعلى.

ثم بيّن المؤلف في نهاية التمهيد لماذا اختار السيد البدوي مثالاً لشرح هذه الظاهرة فقال (ص ١٧): "وإنما آثرت السيد البدوي مثالاً لشرح هذه الحقيقة لأنه يُعتبر قطب الأقطاب في مصر، ولأنه أقوى أولئك الشيوخ نفوذًا، وأكبرهم سلطانًا، وأوسعهم شهرةً، وأكثرهم أتباعًا، وأشدهم تأثيرًا، فهو أقوى وأتم شاهد يمثل تلك الحقيقة من جميع نواحيها، ولكنني قبل أن أخوض بك في هذا كله أراني مضطرًا إلى أن أرجع بك إلى الوراء، وأن أحدثك في فصل خاص بطرف من أخبار العلويين واتجاهات دعوتهم ودعاياتهم مع تطور الأيام والأحداث حتى تعرف: من السيد البدوي؟ ولماذا جاء إلى مصر؟ وإلى أي غرض كان يهدف؟ وماذا بلغ في الوصول إلى ذلك الهدف؟ وماذا خلف وراءه من آثار ومعتقدات في البيئة الشعبية؟

وبهذا يكون المؤلف قد مهّد للفصل الأول من كتابه.

وإلى هنا تنتهي النظرة الأولى من تلك النظرات في هذا الكتاب الممتع، فإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى نستعرض فيه باقي النظرات في كتاب: السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر.

والحمد لله رب العالمين.

قصة لا تصحّ في أسباب النزول

إعداد: **الشيخ/ علي حشيش**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

أولا: أسباب ذكر هذه القصة:

١- هذه القصة اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما ساعد على ذلك وجودها في بعض كتب السنة الأصلية، وهي الكتب التي صنعها مؤلفوها عن طريق تلقي أحاديثها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-.

٢- وسنقوم بتوفيق الله بتخريجها وتحقيقها وكشف عارها وبيان عوارها، ومن أهم أسباب هذا البحث الكشف عن العلل الخفية والغامضة لهذه القصة.

ثانيا: المتن:

روي عن ابن عباس أن رجلاً من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يحب امرأة فاستأذن النبي-صلى الله عليه وسلم- في حاجة فأذن له، فانطلق في يوم مطير فإذا هو بالمرأة على غدير تغتسل، فلما جلس منها مجلس الرجل من المرأة، ذهب يُحرِّك ذَكَره فإذا هو هدبة، فقام فأتى النبي-صلى الله عليه وسلم- فذكر ذلك له، فقال له النبي-صلى الله عليه وسلم-: «صلِّ أربع ركعات»، فأنزل الله تبارك وتعالى: «وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ» (سورة هود، الآية: ١١٤).

ثالثا: النقد الداخلي «نقد المتن»:

هذه قصة مفتراة على رجل من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولا تصح؛ كما سنبين من التخريج والتحقيق، وبيان ما في الإسناد من علة خفية غامضة، وهذا ما يسمى بالنقد الخارجي، وفي هذا المنهج ردّ على ادعاء المستشرقين-جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أيَ من ناحية الرواية، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي وهو «نقد المتن». اهـ.

وإلى القارئ الكريم «النقد الداخلي» نقد المتن المفترى على رجل من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-:

١- إن المتن الذي ذُكرت فيه قصة سبب نزول الآية: «وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ» (هود: ١١٤)، يدور حول رجل من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-، وكان مع النبي-صلى الله

عليه وسلم-. واستأذن النبي-صلى الله عليه وسلم- في حاجة فأذن له النبي-صلى الله عليه وسلم-؛ فهذا مقام صحابة النبي-صلى الله عليه وسلم-. وما أعظمه من مقام! فقد أخرج الإمام الحافظ ابن أبي عاصم المتوفى (٢٨٧هـ) في كتاب «السنة» ح(١٠٠٦)، وكذلك الإمام الحافظ ابن ماجه في كتاب «السنن» ح(١٦٢) في الثابت عن الصحابي الجليل عبد الله ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: «لا تسبُّوا أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم-. فلمقام أحدهم ساعة -يعني مع النبي صلى الله عليه وسلم- خير من عمل أحدكم عُمُره». اهـ. قلت: أي: «العمر» حتى لا تُصحَّف إلى «عمرة».

فائدة: وهذا المقام وهذا الثواب الذي أخبر عنه الصحابي الجليل ابن عمر من «المرفوع حكمًا»؛ قال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٥٣): «المرفوع من القول حكمًا لا تصريحًا: أن يقول الصحابي ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلق ببيان لغة، أو شرح غريب كالإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص». اهـ.

٢- فهذا المقام هو مقام الأبرار، فمن أمحل المحال أن يفعل فيه أفعال الفجار فمن إفكهم ليقولون: إن رجلًا من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- كان مع النبي-صلى الله عليه وسلم-. واستأذن من النبي-صلى الله عليه وسلم- في حاجة فأذن له النبي-صلى الله عليه وسلم-. فانطلق في يوم مطير، فإذا هو بامرأة على غدير تغتسل. «والغدير: مستنقع الماء، ماء المطر صغيرًا كان أو كبيرًا». اهـ. كذا في «لسان العرب» (٩/٥). فدخل عليها وهي تغتسل وأخذ في أفعال الفجار، فمن إفكهم ليقولون: إن الصحابي لما جلس منها مجلس الرجل من المرأة ذهب يُحرِّك ذَكره فإذا هو هدبة، وهذه أفعال لا يفعلها إلا فاسق مخروم المروءة، فاقد العدالة.

٣- ومن إفكهم ليقولون: «إن الصحابي كان يحب المرأة». «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (الكهف: ٥).

قلت: وسنبين من النقد الخارجي «نقد السند» العلة الخفية التي يتبين منها أن الحديث الذي جاءت به هذه القصة كذب مختلق مصنوع على الصحابي.

٤- إن أهل الحديث هم أعرف الناس بأصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- مكانة وتقديرًا، فالراوي الأعلى في سند الحديث هو الصحابي، وهو أول من تلقى الحديث من النبي-صلى الله عليه وسلم-. وعملوا بما سمعوا اتباعًا وتصديقًا، ولذلك جعلهم أئمة الجرح والتعديل في أعلى مراتب التعديل.

وهذا الفضل الذي استحق به الصحابة هذه المرتبة بيَّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٨٨/٢٧) فقال: "إن الصحابة-رضوان الله عليهم- خير قرون هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، وهم نقلوا الدين عن النبي-صلى الله عليه وسلم- بلا واسطة، ففهموا من مقاصده-صلى الله عليه وسلم-. وعاينوا من أفعاله، وسمعوا منه شفاهًا ما لم يحصل لمن بعدهم، وكذلك كان يستفيد بعضهم من بعض ما لم يحصل لمن بعدهم، وهم قد فارقوا جميع أهل الأرض وعادوهم وهجروا جميع الطوائف وأديانهم، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم، قال النبي-صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: «لا تسبُّوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل جبل أُحُد ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه». اهـ. قلت: الحديث متفق عليه في أعلى درجات الصحة: حيث أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٣٦٧٣)، والإمام مسلم في «صحيحه» ح(٢٥٤١) من حديث الصحابي أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فمن أمحل المحال صحابي نال بصحبة النبي-صلى الله عليه وسلم- هذه الفضائل يُزيِّن له الشيطان فعل هذه الرذائل، ومن أمحل المحال صحابي بآداب النبي-صلى الله عليه وسلم- اهتدى يقع بصره على امرأة أجنبية فلا يصرفه ويخالف أمر النبي-صلى الله عليه وسلم- الذي أمر بصرف البصر عن نظر الفجاءة: كما في «صحيح مسلم» كتاب «الآداب» ح(٤٥).

ويستحيل صحابي كان عند النبي من لحظات لا يغض بصره حتى دخل على المرأة وخالف آداب النبي-صلى الله عليه وسلم- في: «تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول وعليها» في قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: «إياكم والدخول على النساء».

فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله: أفرأيت الحمو؟ قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: «الحمو الموت» قلت: هذا الحديث متفق عليه أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح(٥٢٣٢).

٥- وإن تعجب فعجب بعد هذه الأفعال التي لا يفعلها إلا الفجار جاء في المتن: «فقام الصحابي فأتى النبي-صلى الله عليه وسلم- فذكر له ذلك». اهـ. انظر إلى ثلاث (فاءات) (فقام- فأتى- فذكر) فقام من جلوسه من المرأة مجلس الرجل من زوجته، فأتى النبي-صلى الله عليه وسلم-. فذكر له فقال له النبي-صلى الله عليه وسلم-: «صل أربع ركعات». فأنزل الله تبارك وتعالى الآية.

٦- هذا الحديث يفتح بابا للرذيلة. ثم يصلي أربع ركعات لمحوها، فيطمع الذي في قلبه مرض.

رابعا: التخريج:

الحديث الذي جاءت به هذه القصة:

أخرجه الإمام أبو بكر البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» (٥٢/٣) ح(٥٢/٣) قال: حدثنا يوسف بن موسى ومحمد بن عثمان بن كرامة. حدثنا عبيد الله بن موسى. حدثنا سفيان بن عيينة. عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس أن رجلاً من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يحب امرأة فاستأذن النبي-صلى الله عليه وسلم- في حاجة فأذن له... الحديث.

خامسا: النقد الخارجي «نقد الإسناد»:

١- قال الحافظ البزار بعد أن أخرج هذا الحديث: «هذا الحديث لا نعلمه بهذا اللفظ إلا عن ابن عباس، ولا نعلم رواه عن ابن عيينة إلا عبيد الله بن موسى». اهـ.

٢- وأورد هذا الحديث الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣٨/٧) وقال: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح». اهـ.

٣- فائدة: والبعض صحح هذا الحديث لقول الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». والقاعدة: عند أهل الصناعة الحديثية: «قولهم: رجاله رجال الصحيح ليس تصحيحا للحديث».

كذلك قولهم: «رجاله ثقات» لا تساوي القول: «إسناده صحيح» أو «حديث صحيح»؛ لأن الحديث الصحيح بينه الإمام ابن الصلاح في كتابه «معرفة أنواع علوم الحديث»: «النوع الأول فقال: «الحديث الصحيح فهو: الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذاً، ولا معللاً». ثم قال: وفي هذه الأوصاف «الخمسة» احتراز عن: المرسل والمنقطع والمعضل والشاذ وما فيه علة قادحة، وما في رواية نوع جرح في العدالة أو الضبط. اهـ.

ثم قال: «فهذا هو الحديث الذي يُحكم له بالصحة بلا خلاف بين أهل الحديث». اهـ.

الاستنتاج: نستنتج من هذا أن قول الإمام الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»، و«رجاله ثقات» ليس تصحيحًا؛ لأن هذا القول لا يجمع إلا وصفين فقط. قال الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٦٣/١). اهـ. «الثقة من جمع العدالة والضبط»، ولذلك بين أئمة الحديث أن الحديث فيه علة قادحة خفيت عن الإمام البزار، والإمام الهيثمي وهذا بيان الأئمة للعلة القادحة الخفية.

قال الإمام أحمد في كتاب العلل «ما أرى هذا إلا كذابًا أو كذبًا، وأنكره جدًا». اهـ.

قال الإمام ابن أبي حاتم في «علل الحديث» (١٦٥٩/٥٨/٢): «سألت أبي عن هذا الحديث وذكر سنده ومتنه، فقال: قال أبي: هذا خطأ حدثنا ابن أبي عمر قال: حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن يحيى بن جعدة، عن النبي صلى الله عليه وسلم»، وذكر الحديث.

وقال: الإمام الحافظ يعقوب الفسوي (١٩٠-٢٧٧هـ) في كتابه «المعرفة والتاريخ» (٢١٠/٢) ط: دار الرسالة- بيروت: حدثنا الحميدي، قال حدثنا سفيان، حدثنا عمر بن دينار، أخبرني يحيى بن جعدة: أن رجلاً استأذن النبي في يوم مطير... الحديث. وعبيد الله بن موسى روى هذا الحديث عن ابن عيينة بإسناد عجب، والصحيح ما ذكرنا عن الحميدي، وعبيد الله عند أصحابنا قد غلط فيما ذكره. اهـ.

من هذا التحقيق يتبين العلة الخفية، وأن السند خطأ وفيه سقط وارسال. ولهذا قال الإمام أحمد ما أرى هذا إلا كذابًا أو كذبًا وأنكره جدًا.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد **الشيخ/ علي حشيش**

«الغرباء في الدنيا أربعة: قرآن في جوف ظالم، ومسجد في نادي قوم لا يُصلَّى فيه، ومصحف في بيت لا يُقرأ فيه، ورجل صالح مع قوم سوء».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (١/٥٠) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «فر عن أبي هريرة». اهـ.

قلت: «فر»: ترمز للديلمي في «مسند الفردوس»، وهذا تخريج بغير تحقيق، فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث كذب مُختلق مصنوع.

أولاً: التخريج:

الحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(٢١٩٤- الغرائب الملتقطة) قال: أخبرنا أبي، حدثنا أحمد بن عمر المعبر، حدثنا علي بن عمر السبعي، حدثنا ابن لال، حدثنا محمد بن معاذ بن فهد، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن جعفر، حدثنا سعيد بن أبي زيد وراق الفريابي، حدثنا محمد بن هارون الصوري، حدثنا الأوزاعي، عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «الغرباء في الدنيا أربعة....» الحديث.

ثانيا: التحقيق:

هذا الحديث: موضوع: والموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته في أيِّ معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها. إلا مقرونًا ببيان وضعه. كذا في «تدريب الراوي» (١/٢٧٤) النوع (٢١) للإمام السيوطي.

١- فقد أخرج هذا الحديث أيضًا الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣/١٢٨) عن الصوري عن يحيى بن عبد الله البابلي عن الأوزاعي عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وزاد في أوله: «إذا كانت سنة ثلاثين ومائة كان الغرباء في الدنيا أربعة....»: فذكر مثله سواء. قال ابن حبان: «هذا بلا شك معمول»، أي كذب مُختلق مصنوع.

٢- محمد بن هارون الصوري عن الأوزاعي الصواب كما قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/٥١٦/٤٦٦١): «عبد الله بن هارون الصوري، عن الأوزاعي لا يُعرَف، والخبر كذب في أخلاق الأبدال». اهـ.

٣- وقد أورد الحديث الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/١٩٤) من طريق ابن حبان، ونقل قوله: «هذا بلا شك معمول والبابلي يأتي عن الثقات بأشياء معضلات». وقال ابن الجوزي: قال الدارقطني: «البلية في هذا الحديث من الراوي عن البابلي لا منه»: أي: من الصوري. وبهذا يتبين أن الحديث موضوع.

الألفاظ الموهمة في باب الصفات.. بين الإجمال والاستفصال (٦)

تابع: مقولات أئمة أهل السُّنة في إثبات صفات الله ونفي الجسمية عنها، خلافا للجهمية والمعتزلة والمتكلمة في نفيهما معًا

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإضافة لما سبق ذكره من مقولات سلف الأمة وأئمة أهل السنة في إثبات صفات الله ونفي الجسمية عنها، خلافًا للجهمية والمعتزلة والمتكلمة في نفيهما معًا؛ نذكر مما ذكروه في هذا الصدد، ونصوا عليه:

ما قاله أبو حنيفة النعمان جوابًا عن سؤال نوح الجامع: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟، قال: "مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة، فإنها بدعة". اهـ من (ذم الكلام وأهله) ٢١٣/٤ للهروي، وقال في الفقه الأبسط ص٥٦: "لا يُوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وهو قول أهل السنة والجماعة".

كذا بما يعني أن الإثبات في إجماع سلف الأمة لم يكن يعني سوى: نفي التشبيه والتجسيم عن صفات الله، وأن فكرة إيهام التشبيه والتجسيم لم يكن لهما من تصورٍ إلا في أذهان مدّعيها على أهل السنة، وإلا في أخيلة قائليها من أصحاب الهوى جراء إدخال العقول فيما لا شأن لها به، لتَتّخذَ من ذلك ذريعة لنفي وتعطيل ما لم يَرُقْ أصحابُها من الصفات، وهذا هو -عياذًا بالله- الهوى المتَّبع، وإلا فأنَّى لمن ينفي عن صفاته تعالى التشبيه والتجسيم والحدوث، أن يُرمى بها أو بأي منها؟!، الجواب متروك لكل أشعري متعصبٍ للتأويل، محكّمٍ عقله وهواه في نصوص الوحي متلاعبٍ بها.

على أن ما ذكرناه آنفًا هو -على حد قول أبي حنيفة ت١٥٠- موضع اتفاق بين جميع سلف الأمة حتى من قبْل أن يعلو نجم فِرَق الزيغ وأهل البدع ومنهم بالطبع متكلمة الأشاعرة، فإن نفي صفات الله بزعم إيهامها التشبيه أو التجسيم -على ما أفاده شارح العقيدة الطحاوية ص٥١ وغيره- "موضع اضطرب فيه كثير من النظار؛ حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء

يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد، وأصل هذا الخطأ والغلط هو: توهمهم أن هذه الأسماء العامة الكلية التي يكون مسماها المطلق الكلي، هو بعينه ثابتًا في هذا المُعيَّن، وهذا المُعيَّن، وليس كذلك.. فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقًا كليًا بل لا يوجد إلا مُعيَّنًا مختصًا، وهذه الأسماء إذا سُمي الله بها كان مسماها مُعيَّنًا مختصًا، فإذا سُمي بها العبد كان مسماها مختصًا به، فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشاركه فيه غيره من الموجودات الأخرى، فكيف بوجود الخالق؟" ا.هـ من كتاب (مدخل إلى عقيدة التوحيد) د. خضر سوندك ص١٤٠.

ونص عبارة ابن العز الحنفي في شرح قول الإمام الطحاوي (ت٣٢١): (نقول في توحيد الله - معتقدين بتوفيق الله - أن الله.. لا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأفهام). قال: "من أنكر الصفات وقال: إن الله ليس له.. كلام ولا محبة ولا إرادة- قال لمن أثبت الصفات: إنه مشبه، وإنه: مجسم، ولهذا فإن كُتُب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والرافضة ونحوهم، كلها مشحونة بتسمية مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة، ويقولون في كُتبهم: (إن من جملة المجسمة قومًا يقال لهم: المالكية، يُنسبون إلى رجل يقال له: مالك بن أنس، وقومًا يقال لهم الشافعية، يُنسبون إلى رجل يقال له: محمد بن إدريس)، حتى الذين يفسرون القرآن منهم، كعبد الجبار والزمخشري وغيرهما، يُسمون كل من أثبت شيئًا من الصفات وقال بالرؤية: مشبهًا، وهذا الاستعمال قد غلب عند المتأخرين من غالب الطوائف". اهـ.

ومن غير الحنفية.. الحنابلة وغيرهم يثبتون لله صفاته وينفون عنها الجسمية:

وهذا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (ت٢٤١)، قد "ذهب - فيما جمعه له أبو الفضل عبد الواحد التميمي (ت٤١٠) في كتابه (اعتقاد الإمام المنبَّل أبي عبد الله أحمد بن حنبل) ص٤٩ - و"أنكر على من يقول بالجسم، وقال: إن الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم -يعني: الجسم- على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلمْ يجُز أن يُسمَّى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجئ في الشريعة ذلك، فبَطل". اهـ.

وأبو الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى صاحب (طبقات الحنابلة) (ت٥٢٦)، قال في كتابه (الاعتقاد) ص٢٤: "أول ما نبدأ بذكره.. الإيمان بالله وتوحيده.. ثم الإيمان بأن الله واحد لا يُشبهه شيء، ولا نُشبه صفاته ولا نكيفه، ولا يُكيَّف صفاته وهمٌ، وأن ما وقع في الوهم فالله وراء ذلك.. وأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر)، وهذا لفظ البخاري، وقد روى حديث النزول: أحمد ومالك والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن خزيمة والدارقطني وأئمة المسلمين.. ونقرُّ بأن الرحمن استوى، كذلك نطق به القرآن في سبع سور، في: الأعراف ويونس والرعد وطه والفرقان وتنزيل السجدة والحديد". إلى أن قال ص٣٠ بعد أن ذكر من الصفات ما ذكر: "فإن اعتقد معتقدٌ في هذه الصفات ونظائرها مما وردت به الآثار الصحيحة: التشبيه في الجسم والنوع والشكل والطول؛ فهو كافر، وإن تأوَّلها على مقتضى اللغة وعلى المجاز فهو جهمي، وإن أمرَّها كما جاءت من غير تأويل ولا تفسير - يعني: على المجاز كتفسيرات المعتزلة والجهمية والأشعرية - ولا تجسيم

ولا تشبيه، كما فعلت الصحابة والتابعون، فهو الواجب عليه". اهـ.

ولقد بلغ به الأمر -رحمه الله- لأن يتبرأ من المجسمة ويدعو لهجرانهم، وذلك قوله في ص٤١: "ويجب هجران أهل البدع والضلال كالمشبهة والمجسمة والأشعرية والمعتزلة والرافضة والمرجئة والقدرية والجهمية والخوارج والسالمية والكرامية؛ وبقية الفرق المذمومة"، قال: وهذا اعتقادي وما أدين به لربي، وهو الذي مضى عليه والدي رحمه الله"ا.هـ.

الجيلاني والقاضي عبد الله بن خلف المقري يقيمان الأدلة ويسوقان الاجماع على إثبات النزول والاستواء وينفيان عنهما التجسيم:

وممن أثبت نزول الله تعالى واستوائه على عرشه ونفى عنهما التجسيم:

شيخ بغداد وسيد الوعاظ عبد القادر الجيلاني (المتوفى ٥٦١)، قال في كتاب (الغُنية) ص٧١: ٧٤ - وقد نقله عنه الحافظ الذهبي في العلو ص١٩٣ وهو بمختصره ص٢٨٤، وحافظ حكمي في معارج القبول ١٥٢/١ -: "وهو مستوٍ على العرش، محتوٍ على المُلك، محيطٌ علمه بالأشياء «إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه» (فاطر: ١٠)، «يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون» (السجدة: ٥).. لا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان، بل يقال: إنه في السماء على العرش كما قال: «الرحمن على العرش استوى» (طه: ٥).. وينبغي إطلاق ذلك الاستواء من غير تأويل، وأنه استواءُ الذات على العرش لا على معنى: (القعود والمماسَّة) كما قالت المجسمة والكرَامية، ولا على معنى: (الرِّفعة) كما قالت الأشعرية، ولا على معنى: (الاستيلاء والغلبة) كما قالت المعتزلة؛ لأن الشرع لم يردْ بذلك، ولا نُقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث ذلك، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق.. وكونه على العرش مذكور في كل كتاب أُنزل على كل نبي أرسل، بلا كيف، ولأن الله تعالى لم يزل موصوفًا بالعلو والقدرة والاستيلاء والغلبة على جميع خلقه، فلا يُحمل (الاستواء) على ذلك، فـ(الاستواء) من صفات الذات، إذ بعد أن أخبرنا به ونص عليه؛ أكده في سبع آيات.. ولا نخرج من الكتاب والسنة، نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكِلُ الكيفية في الصفات إلى علم الله.. فإنه غيب لا مجال للعقل في إدراكه".

قال: "وأنه تعالى ينزل في كل ليلة إلى سماء الدنيا كيف شاء وكما شاء، فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى لمن يختار من عباده ويشاء.. لا بمعنى نزول الرحمة وثوابه على ما ادعته المعتزلة والأشعرية" واخلولق يسوق في ذلك روايات نزوله تعالى على وجه التفصيل.

ومنهم الإمام القاضي عبد الله بن خلف المقري الأندلسي (ت٥٧٨): فقد قال رحمه الله فيما نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش ص٥٥ -: "في حديث النزول دليل على أنه تعالى في السماء على العرش فوق سبع سماوات من غير مماسّة ولا تكييف كما قال أهل العلم والحق والاقتداء، ودليل قولهم أيضًا من القرآن قوله تعالى: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ» (طه: ٥)، وقوله تعالى: «ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ» (السجدة: ٤)، وقوله تعالى: «إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا» (الإسراء: ٤٢)، وقوله تعالى: «يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ» (السجدة: ٥)، وقوله لعيسى عليه السلام: «إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ» (آل عمران: ٥٥)، وقوله: «لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ② مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ» (المعارج:

٢: ٤) والعروج هو: الصعود. وقال مالك بن أنس: (الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو من علمه مكان): يريد: على السماء كما قال تعالى: «وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ» (طه: ٧١)، وكما قال تعالى: «ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ» (الملك: ١٦) أي مَن على السماء: يعني: على العرش، وكما قال تعالى: «فَسِيحُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ» (التوبة: ٢) أي: على الأرض، وقيل لمالك «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ» (طه: ٥) كيف استوى؟. قال رحمه الله: (استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء)، قال أبو عبيدة في قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى» (أي: علا)، قال: (وتقول العرب: استويتُ فوق الدابة وفوق البيت)...

إلى أن قال: "وكل ما قدمتُ دليل واضح في إبطال قول من قال بالمجاز في الاستواء، وأن (استوى) بمعنى: (استولى)، لأن الاستيلاء في اللغة: المغالبة وأنه لا يغالبه أحد، ومن حق الكلام أن يُحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز؛ إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يُوجَّه كلام الله على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم يمنع ذلك ما يوجب له التسليم، ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مُدعٍ؛ ما ثبت شيء من العبادات، وجلَّ الله أن يُخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة؛ وهو: العلو والارتفاع والتمكن".

والحافظ الذهبي (ت ٧٤٨) يرد عادية متهمي المثبتة بالتجسيم:

وفيما يعدُّ في باب المقارنات، إجمالاً وجمعًا لأطراف هذه القضية: يقول الذهبي في العلو ص١٠٧ - إبان تعليقه على ما قاله حماد ابن زيد من أن الجهمية (يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء إله) -: "مقالة السلف وأئمة السنة، بل والصحابة والله ورسوله والمؤمنون: (أن الله في السماء، وأن الله على العرش، وأن الله فوق سماواته، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا)، وحجتهم على ذلك النصوص والآثار.. ومقالة الجهمية: (أن الله تبارك وتعالى في جميع الأمكنة)، تعالى الله عن قولهم، بل هو معنا أينما كنا بعلمه.. ومقالة متأخري المتكلمين - وهم الأشعرية -: (أن الله ليس في السماء ولا على العرش، ولا على السماوات ولا في الأرض، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، ولا هو بائن عن خلقه ولا متصل بهم!)، وقالوا: (جميع هذه الأشياء صفات الأجسام والله منزَّه عن الجسم)، قال لهم أهل السنة والأثر: (نحن لا نخوض في ذلك ولا نقول بقولكم، فإن هذه السلوب نعوت المعدوم، تعالى الله عن العدم، بل هو موجود متميز عن خلقه موصوف بما وصف به نفسه، من أنه فوق العرش بلا كيف)".

وكان من المهم أن نسرد في هذا المقام نصوص وأقوال أئمة العلم بشيء من التفصيل -وإن كان كلامهم في هذا لا ينقضي- لترسيخ ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من المعاني الصحيحة في هذا الباب، ولإثبات علوه تعالى ومعيته وسائر صفاته، على الوجه الذي يريده سبحانه لنفسه، لا الذي يريده المتكلمة وأضرابهم.. فليتورع إذن من يتهم المثبتين بالتجسيم أو التشبيه وإلا فليجبنا إن كان من الصادقين: هل كان أبو سعيد الخدري والبخاري وابن الجوزي والشوكاني وجماهير السلف ومن قبلهم الرسول الأعظم، من المجسمة أو المشبهة؟!

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

أسوة الأجيال بخير الرجال

«رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ» (الأحزاب: ٢٣)

إعداد د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد سبق لنا عرض غزوة أحد بإيجاز واختصار، وعندما نلتفت إلى ساحة المعركة نجد مواقف، وبطولات نادرة، وعجيبة؛ جديرة بأن تذكر ليتأسى بها شباب المسلمين، وشيبهم في زمان تكالب فيه الأعداء على الأمة الإسلامية، ورموهم عن قوس واحدة، ونعرض بعض هذه المواقف لرجال ممن قال الله فيهم: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٢٣). نلتمس منها العبرة، ونرى فيها الأسوة؛ فيما يلي:

أولا: حماسة وشجاعة وقوة إيمان

عَنْ أَنَس، أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُد فَقَالَ: "مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟" فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: "فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟" قَالَ: فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ! فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ: فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. صحيح مسلم (٢٤٧٠).

وفي هذا الخبر فوائد:

الأولى: قوله في الحديث: "فأحجم القوم" أي: تأخروا. شرح مسلم للنووي (١٦/ ٢٤).

وذلك لأنهم لا يعلمون ما حقه، فيخشون أن يكون كبيرًا جدًا لا يستطيعون القيام به. وسبب هذا هو الحرص على الطاعة وليس النكول عن أداء حقه.

الثانية: وفيه: أنه ينبغي للإنسان أن يبادر بالخير، وألا يتأخر، وأن يستعين بالله عز وجل، وهو إذا استعان بالله وأحسن به الظن؛ أعانه الله. شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٣).

الثالثة: فيه: استحباب توصل الإمام إلى كل ما يشد به عزائم المجاهدين، ويحمي به أنوفهم للحق.

الرابعة: أن المستحب للإمام أن يختار أجود السلاح لأجود الرجال. الإفصاح (٥/ ٣٧٦).

الخامسة: أَنَّ كل مَظاهر الكِبْر المحرَّمة في الأحوال العامَّة، تزول حُرمتها في حالات الحرب، فمن مَظاهر الكِبْر المحرَّمة أنْ يَسير المُسْلمُ في الأرض مَرحًا مُتبخترًا، ولكنَّ ذلك في مَيدان القِتال أمْرٌ حسنٌ، وليس بمكْروه. اللؤلؤ المكنون (٢/ ٥٨٧).

ويشهد لهذا المعنى حديث جابر بن عتيك رضي الله عنه قال: قال رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم: "وأمَّا الخُيلاءُ الَّتي يُحبُّها اللَّه فاخْتيال الرَّجلِ بنفْسه لله في الْقِتال، والصَّدقة، وأمَّا الاخْتيال الَّذي يُبْغضُه اللَّه: فالاخْتيال في الفَخْر" الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٦٧٤). وحسنه الألباني في الإرواء (١٩٩٩).

الموقف الثاني: رجل يستطيل حياته!

عنْ جابرِ بنِ عبْدِ اللَّه رضيَ اللَّه عنهما، قال: قال رَجلٌ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يوْم أُحُد: أرأيْت إنْ قُتلْت في سبيل اللَّه: فأيْن أنا؟ قال: "في الجنَّة فألْقى تمرات في يده، ثمَّ قاتل حتَّى قُتل" صحيح البخاري (٤٠٤٦).

وفيه فوائد:

الأولى: تشابه مواقف الصحابة، وتأسي بعضهم ببعض؛ لأن هذا الرجل غير عمير بن الحمام؛

قال ابن كثير: وهذا شبيه بقصة عمير بن الحمام التي تقدمت في غزوة بدر رضي الله عنهما وأرضاهما. البداية والنهاية (٥/٣٩٣).

الثانية: ثبوت الجنة للشهيد.

الثالثة: المبادرة بالخير، وأنه لا يشتغل عنه بحظوظ النفوس. شرح النووي على مسلم (١٣/٤٤).

الرابعة: جواز الانغماس في حرب الكفار والتعرض للشهادة. طرح التثريب (٧/٢٠٧).

الخامسة: دلالة على قوة إيمان الصحابة، وحرصهم على الآخرة، وتصديقهم بوعد الله ووعيد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وانظر إلى استعجال هذا الرجل في طلب الآخرة، وانما حثه ايمانه وكأنه شاهد ما وعده به رأي عين؛ ولهذا كانت لهم العزة في الدنيا، وفي الآخرة. الإفصاح (٨/٢٩٠).

فمن نحن بحاجة إلى أمثال هؤلاء في زماننا هذا لا سيما، وقد اجتمع العدو بخيله ورجله على فئة مستضعفة من المؤمنين قتلا وتشريدا.

الموقف الثالث: موقف حذيفة بن اليمان ومقتل أبيه بيد المسلمين

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "لما كان يوم أحد هزم المشركون، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أي عباد الله أبي أبي، قال: فو الله ما احتجزوا حتى قتلوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم" قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير، حتى لحق بالله عز وجل " البخاري (٤٠٦٥).

وفيه فوائد:

الأولى: قوله " عباد الله أخراكم" أي: احترزوا من جهة أخراكم، وكان ذلك لما ترك الرماة مكانهم، ودخلوا ينتهبون عسكر المشركين كما سبق بيانه. انظر المقال السابق.

قوله "فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم" أي: وهم يظنون أنهم من العدو، وذلك أنهم لما رجعوا اختلطوا بالمشركين، والتبس العسكران؛ فلم يتميزوا؛ فوقع القتل على المسلمين بعضهم من بعض.

الثانية: حرص الصحابة على الجهاد والشهادة؛ حيث كان اليمان والد حذيفة وثابت بن وقش شيخين كبيرين؛ فتركهما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع النساء، والصبيان: فتذاكرا بينهما ورغبا في الشهادة: فأخذا سيفيهما، ولحقا بالمسلمين بعد الهزيمة فلم يعرفوا بهما فأما ثابت: فقتله المشركون، وأما اليمان: فاختلف عليه أسياف المسلمين: فقتلوه، ولا يعرفونه.

الثالثة: في رواية ابن إسحاق: فقال حذيفة: "قتلتم أبي"؟ قالوا: "والله ما عرفناه" وصدقوا؛ فقال حذيفة: يغفر الله لكم: فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يديه (يدفع ديته)؛ فتصدق حذيفة بديته على المسلمين: فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا. فتح الباري (٧/٣٦٢).

الرابعة: قوله "فو الله ما زالت في حذيفة بقية خير": أي إنه لما عذر المسلمين أنهم لم يعرفوه وقال: يغفر الله لكم، زاد بذلك خيره، وارتفع قدره. كشف المشكل (٤/٣٨٧).

الموقف الرابع: أحرج ساعة وأشدها على رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن سهل بن سعد قال "جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه" مسلم (١٧٩٠).

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قال: "من يردهم عنا وله الجنة؟" -أو "هو رفيقي في الجنة"-، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضا، فقال: "من يردهم عنا وله الجنة؟- " أو "هو رفيقي في الجنة" -، فتقدم رجل من الأنصار، فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصاحبيه: "ما أنصفنا أصحابنا" صحيح مسلم (١٧٨٩).

وهذه ساعة ظهرت فيها بطولات نادرة قل أن تجد مثلها في التاريخ، ولنا معها وقفة أخرى في العدد القادم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

مظاهر الجاهلية

إعداد **الشيخ / إبراهيم حافظ رزق**
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد روى الإمام البخاري في كتاب الفتن من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: قال: كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر؛ مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر؛ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ فقال: «نعم». والجاهلية منسوبة إلى الجهل وهي تعني على وجه التخصيص ما كان عليه العرب قبل الإسلام. والجهل إلغاء العقل والتفكير السليم، والاحتكام إلى الأهواء والعادات. والجاهلية هي كل عادة كان عليها العرب في عباداتهم وعقائدهم ومعاملاتهم وسائر أمورهم مما يخالف الإسلام. وفي الجملة: كل ما يناقض الإسلام فهو جاهلية.

وقد جاء الإسلام لينقض عُرى الجاهلية ويمحو ما كان عليه العالم يومئذ، وإلى أن تقوم الساعة من أمور الجاهلية، وفي الحديث الشريف: «ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع...» رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الجاهلية في أربعة مواضع:

الأول: في قوله تعالى: «يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ» (آل عمران: ١٥٤).

الثاني: في قوله تعالى: «أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ» (المائدة: ٥٠).

الثالث: في قوله تعالى: «وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ» (الأحزاب: ٣٣).

الرابع: في قوله تعالى: «إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ» (الفتح:٢٦).

ويتضح من خلال آيات القرآن الكريم أن الجاهلية قامت على أمور أربعة:

١- جاهلية في العقيدة والعبادة.

٢- جاهلية في الحكم والتشريع.

٣- جاهلية في أمور النساء.

٤- جاهلية في الحمية والعصبية.

يقول الشيخ مصطفى درويش -رحمه الله- في كتابه عن الجاهلية:

فكل فساد في العقيدة من شرك في الربوبية أو الإلهية أو الأسماء والصفات والأفعال وغيره يتفرع عن هذا الأصل، وهو ظن الجاهلية. «يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ» (آل عمران: ١٥٤).

وكل فساد في الحكم من الحُكم بغير ما أنزل الله أو تحاكم إلى غيره كالتحاكم إلى غير القرآن والسنة يدخل في هذا أيضًا: «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (المائدة: ٥٠).

وكل ما خالف القرآن والسنة في أمور النساء يدخل في تبرج الجاهلية الأولى: «وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى» (الأحزاب: ٣٣)؛ لأن التبرج خروج من البرج، والبرج هو الحصن، وحصن المرأة في اتباع ما شرعه الله تعالى.

وكل اندفاع وراء عصبية الجنس أو القبلية أو تراث الآباء والأجداد، أو تعصب لقومية أو لعنصر، كل هذا وغيره يدخل في هذا الأصل الجامع: «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ» (الفتح:٢٦).

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة سوف تعود إلى الجاهلية في كثير من عباداتها وعقائدها ومعاملاتها؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة» (رواه البخاري ومسلم). وذو الخلصة صنم كانت تُعظِّمه بعض قبائل العرب في الجاهلية، وفي هذا إشارة إلى ما سيحدث من الردة والرجوع إلى عبادة الأصنام.

وللأسف الشديد فقد عاد كثير من هذه الأمة إلى ما كانت عليه الجاهلية في كثير من أمور العقيدة والعبادة؛ حيث رُفعت قبور الموتى، وشُيِّدت فوقها المساجد، وشدَّ كثير من الناس الرحال إلى قبور الموتى؛ فسألوهم إجابة الدعوات وكشف الكربات وقضاء الحاجات، وذبحوا لها الذبائح، ونذروا لأصحابها النذور، وجهل كثير من المنتسبين إلى الإسلام أمور العقيدة الصحيحة، فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ونقضوا عرى الإسلام عروة عروة بما نشأوا عليه من أمور الجاهلية.

وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال: "إنما تُنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية".

وقال: يوشك أن يَهدم الإسلام حجرًا حجرًا مَن جهل عادات الجاهلية.

وفي مجال العبادات ظهرت البدع والخرافات بين كثير من المنتسبين إلى المسلمين، وحين تظهر البدع تموت السنن، ويبتعد الناس عن نبع الدين الصافي المتمثل في الكتاب والسنة، وخالف الكثيرون ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من النهي الشديد عن الابتداع والبعد عن السنن، ففي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسَّكوا بها وعضوا عليها

بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» (رواه أبو داود وأحمد وصححه الألباني).

وفي الحديث المتفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وفي رواية مسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»؛ أي: مردود على صاحبه لا يقبله منه الله؛ لأنه جاء على غير وفق ما شرع الله على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي مجال الأحكام والتشريع تحاكم الناس إلى القوانين الوضعية والدساتير الأرضية التي وضعها فريق من الناس لخدمة فريق آخر من الناس فشرعوا لهم أحكامًا تخالف أحكام القرآن والسنة، وتحاكم كثير من الناس إلى العادات والتقاليد والأحكام العرفية التي نشأ عليها الآباء والأجداد مما يخالف شرع الله عز وجل.

وفي الجملة كل الأحكام التي تخالف حكم الله هي من أحكام الجاهلية، فلا يقدم حكم على حكم الله ولا تنفذ شريعة ولا منهاج إلا ما أراده الله؛ «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ» (المائدة: ٥٠).

وفي مجال الجاهلية والتي تتعلق بأمور النساء؛ نهى ربنا عز وجل النساء المؤمنات عن التشبه بنساء الجاهلية في تبرجهن؛ فقال تعالى: «وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ» (الأحزاب: ٣٣). وقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ» (الأحزاب: ٥٩). فأمر سبحانه بالحشمة والوقار والعفة، ونهى سبحانه عن التبرج والسفور والتشبه بنساء الجاهلية في المشية واللباس والاختلاط، وغير ذلك مما يجر إلى الفساد.

وفي الحديث الشريف: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها...» (رواه مسلم عن أبي هريرة).

وقد نهى الإسلام عن العصبية والتعصب للباطل وعن كل دعوة إلى التفرق وانشقاق الصف المسلم، وأخبر أن كل هذا من حمية الجاهلية، «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ» (الفتح:٢٦).

وحمية الجاهلية هي الأَنَفة والكبر ورفض الحق، والتعصب للجنس أو القبيلة، ورُوِيَ في سنن أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، أو قاتل من أجل عصبية، أو من مات من أجل عصبية» (ضعيف أبي داود).

وقال صلى الله عليه وسلم مُحذِّرًا من العصبية كما في البخاري: «دعوها فإنها منتنة».

نسأل الله أن يردنا جميعًا إلى الإسلام ردًا جميلاً، وأن يأخذ بأيدينا إلى ما يحبه ويرضاه، وأن يحفظنا جميعًا من أمور الجاهلية، وأن يثبتنا على الإسلام حتى نلقاه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى وآله وأصحابه أجمعين.

وقفات مع وصية نبوية عظيمة

إعداد الشيخ / صلاح عبد الخالق

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى.

أما بعد: فإن كثيرًا من الناس تصيبهم مشكلات وهُموم وغموم، منها همّ الدَّيْن وهمّ الحاجة إلى المال والستر... فماذا يفعل المهموم؟ وإلى مَن يلجأ؟ هنا وصية نبوية عظيمة في علاج هذه الهموم: فعَنْ عليٍّ، أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي. قَالَ: أَلا أُعَلِّمُكَ كلماتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ. قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ. (سُنَن التِّرمذِي (٣٥٦٣)).

بعض الوقفات مع هذه الوصية العظيمة:

أولاً: شكوى من عجز عن سداد الدَّيْن:

فهذا دعاءٌ عظيم يقولُه مَن عليه دينٌ وهو عاجزٌ عن أدائه، فإذا قالَه واعتنى به أدَّاه الله عنه مهما كان حجمُ الدَّين، ولو كان مثلَ الجبل؛ لأنَّ التيسيرَ بيد الله، وخزائنه سبحانه ملأى لا يَغيظها نفقة، فمَن التَجأ إليه كفاه، ومَن طلب العونَ منه أعانه وهداه. وهذا المكاتَب(المدين) جاء إلى علي رضي الله عنه يشكو عجزَه وعدم قُدرته على أداء ما تَحمَّله من مال لسيِّده ليعتقه فأرشدَه رضي الله عنه إلى هذا الدعاء العظيم الذي سمعَه من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وبيَّن له عظمَ فائدته وكبر عائدته على قائله، وأنَّ الله يقضي عنه دَيْنَه مهما كثُر. قال: "ألاَ أعلِّمُك كلمات عَلَّمَنِيهنَّ رسولُ-صلى الله عليه وسلم-، لو كان عليك مثل جبل صير دَيْنًا أدَّاه الله عنك"، وهذا فيه تشويقٌ عظيمٌ وترغيبٌ للسَّامع، وحثٌّ على المواظبة على هذا الدعاء المبارك؛ ليتخَلَّص العبد من الدَّين الذي تَحمَّله،

ومن همّه الذي كدّر باله وأشغله. (فقه الأدعية والأذكار٣/٢٠٠).

ثانيا : الدعاء بأسماء الله الحسنى

قــال الله تـعـالـى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» (الأعراف: ١٨٠).

وقَـوْلُـهُ تَعَالَى: (فَـادْعُـوهُ بِها)؛ هذا شامل لدعاء العبَادة، ودعاء المسألة، فيُدْعَى في كل مطلوب بما يُناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب عليَّ يا تواب، وارزقني يا رزاق، ونحو ذلك. (تفسير السعدي: ٣٠٩).

وإذا علم العبد أن الله هو الكافي عباده رزقًا ومعاشًا وحفظًا وكلاءة ونصرًا وعزًا اكتفى بمعونته عمن سواه وإذا كان كذلك وجب ألا يكون الرجاء إلا فيه والرغبة إلا إليه. فعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم-: "مَنِ اسْتَغْنَى: أَغْنَاهُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنِ اسْتَعَفَّ: أَعَفَّهُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنِ اسْتَكْفَى: كَفَاهُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ» (سنن النسائي (٢٥٩٥).

"مَنِ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ": أي من طلب من الله تعالى أن يُغنيه عن مسألة الناس رزقه الغنى عنهم، إما بأن يرزقه مالاً كثيرًا، أو يرزقه القناعة بما لديه، وإن قلّ.

(وَمَنِ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللَّه عَزَّ وجَلَّ)؛ أي من طلب من الله تعالى أن يرزقه العفاف من الحرام رزقه الله تعالى الحلال الذي يمنعه من الوقوع في الحرام، أو يرزقه العفَة منه.

(وَمَنِ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ) أي من طلب من الله تعالى الكفاية رزقه ما يكفيه عن التعرض لما عند الناس بالسؤال أو غيره. (ذخيرة العقبى: ١٩٩/٢٣).

فمن وقع في شدة وضائقة، فليطلب من الله الكفاية؛ فإن الله يكفيه.

ثالثا: الكفاية والقناعة من الله وحده

(١) قوله: (اكفني) من كفَّ؛ أي: اصرفني وأبعدني. قوله: (بحلالك عن حرامك) برزقك الحلال عن الوقوع في الحرام، واجعلني مستغنيًا به عمن سواك. (شرح حصن المسلم ١/ ٢٢٥).

(٢) أي: قنعني بالحلال عن طلب الحـرام أو سُقْ إليَّ منه ما لا أحتاج معه إلى الحرام. (التنوير شرح الجامع الصغير ٣٧١/٤).

المعنى العام: يا رب قنِّعني ورضِّني بكل شيء حلال من زوجة حتى لا أنظر إلى الحـرام، يا رب قنعني ورضِّني بكل رزق حلال حتى لا أنظر إلى الحرام، وأعنِّي على ذلك وثبِّتني إلى يوم القيامة؛ فأنت القادر على ذلك.

رابعًا: وأغنني بفضلك عمّن سواك

(١) قال تعالى: «وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (النساء: ٣٢).

«وَاسْأَلُوا الله منْ فَضْله» أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا. فهذا كمال العبد وعنوان سعادته لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر لربه، أو يجمع بين الأمرين فإن هذا مخذول خاسر. وقوله: «إنَّ الله كَانَ بكُلِّ شَيْء عليمًا» فيعطي من يعلمه أهلاً لذلك ويمنع من يعلمه غير مستحق. (تفسير السعدي: ١٧٦).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، قَالَ: «إذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيكَة فَاسْأَلُوا اللَّه مِنْ فَضْله، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا"(صحيح البخاري ٣٣٠٣، وصحيح مسلم ٢٧٢٩).

قَالَ الْقَاضِي سَبَبُهُ -الدعاء- رَجَاءُ تَأْمِينِ الْمَلَائِكَة عَلَى الدُّعَاء وَاسْتِغْفَارِهِمْ وَشَهَادَتِهِمْ بِالتَّضَرُّعِ وَالْإِخْلَاص، وَفِيهِ اسْتِحْبَابُ الدُّعَاء عِنْدَ حُضُور الصَّالِحِينَ وَالتَّبَرُّك بِهِمْ. (شرح النووي ٤٧/١٧).

(٢) قوله:"وأغنني بفضلك عمّن سواك" أي: واجعل فضلَك وهو ما تَمُنُّ به عليَّ من نعمة وخير ورزق مغنيًا

لي عمّن سواك، فلا أفتقر إلى غيرك، ولا ألتجئ إلى أحد سواك. (فقه الأدعية والأذكار٣/ ٢٠٠).

(٣) "وأغنني بفضلك عمّن سواك" حتى لا أحتاج إلى مخلوق ولا أنزل ضري بعبد. (التنوير شرح الجامع الصغير ٤/ ٣٧١).

(٤) "وأغنني بفضلك عمّن سواك": من الخلق، فمن قال ذلك بصدق نية وجد أثر الإجابة سريعًا. (التيسير بشرح الجامع الصغير ١/ ٣٩٩).

خامسا: كيف أكون غنيًا بفضل الله تعالى؟

(١) تفريغ القلب لعبادة الله وحده: فعن أبي هُريرة عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم-، قال: "إنّ الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسدّ فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلًا ولم أسدّ فقرك. (سنن الترمذي (٢٤٦٦)، وصحيح الجامع ١٩١٤). وصدرك أي: قلبك.

(٢) القناعة والرضا: عن أبي هُريرة رضي الله عنه عن النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: "ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى النّاس" (سنن الترمذي ٢٣٠٥). وليس حقيقة الغنى كثرة المال لأنّ كثيرا ممّن وسّع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فكأنّه فقير لشدّة حرصه، وإنّما حقيقة الغنى غنى النفس، وهو من استغنى بما أوتي وقنع به ورضي، ولم يحرص على الازدياد ولا ألح في الطلب فكأنّه غنيّ. (فتح الباري: ١١/ ٢٧٢).

(٣) غنى القلب: عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا أبا ذرّ، أترى كثرة المال هو الغنى؟ "قلت: نعم يا رسول الله قال: "وترى قلة المال هو الفقر؟ "قلت: نعم يا رسول الله. قال: "إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب" (صحيح ابن حبان (٦٨٥) وصحيح الترغيب ٨٢٧).

(٤) اجعل الآخرة همّك: عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من كانت الآخرة همّه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدّنيا وهي راغمة» (سنن الترمذي ٢٤٦٥، صحيح الجامع ٦٥١٠).

من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه؛ لأنه إذا اغتنى قلبه قنع ولم يتطلع إلى الدنيا، ومع إيقاع القناعة في قلبه لا يحرم عليه الدنيا، بل تأتيه الدنيا وهي راغمة ذليلة فهي التي تأتيه وليس هو الذي يجري وراءها فهذه هي السعادة التي يبحث عنها الناس. (تفسير القرآن الكريم، للمقدم ٦/١٢٠).

نسأل الله الهدى والتقى والعفاف والغنى.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله تعالى فضيلة الأستاذ الشيخ سيد أبو زيد، أستاذ القرآن والقراءات بكلية القرآن الكريم بطنطا، وكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وقد صلى عليه جمع كبير من طلابه ومحبيه، ودُفن بعد صلاة العصر يوم الاثنين ١٦ جمادى الأولى ١٤٤٦هـ الموافق ٢٠٢٤/١١/١٨.

نسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة، وأن يلحقنا به على الإيمان.

ومجلس إدارة المركز العام لأنصار السنة المحمدية بمصر، وأسرة مجلة التوحيد يتقدمون بخالص العزاء لأسرة الفقيد وطلابه سائلين الله تعالي أن يجعله من أهل شفاعة القرآن الكريم، وأن يحشره مع من نزل القرآن على قلبه صلى الله عليه وسلم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

د. عبد الله شاكر

وخيرهما الذي يبدأ بالسلام

إعداد | **الشيخ عبده أحمد الأقرع**

فرع اخناواي

الحمد لله وليّ الصالحين، وأصلي وأسلم على سيد ولد آدم يوم الدين صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فإن الناظر والمتأمل في واقعنا اليوم يكاد يقول: إن منافرة شديدة واقعة بين الأمة وإسلامها، أو إن هناك عداوة شرسة آخذة بمجامع قلوبها ونواصيها، تقودها قودًا ذليلاً حثيثًا إلى حيث تكون هلكتها، ثم لا تجد لنفسها سبيلاً يهديها، أو سبيلاً ينجيها.

ولم يكن ذلك كذلك إلا حين سادت الخصومات، وكثرت المنازعات، وغلب الجفاء، واستحكمت القطيعة، فأذهبت الود والصفاء، وأدى ذلك إلى الشقاق والمرافعات، وعمت الأثرة والأنانية وحب الذات، بل حتى بين أبناء الأسرة الواحدة، وأصحاب المنهج القويم.

ترى ما السبب في ذلك؟ والجواب الذي لا يختلف عليه اثنان أمران: هما: الشيطان، والذنوب؛ قال الله تعالى: « إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ » (المائدة: ٩١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم» (صحيح مسلم: ٢٨١٢)؛ أي: في بث الخلاف والشرور والعداوة والبغضاء بينهم حتى تكون من ذلك الفتن العظيمة والخطوب الجسيمة.

لذا أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالحذر من الشيطان الرجيم والعمل على سد المداخل التي قد يدخل عليهم منها؛ فقال تعالى: « وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا » (الإسراء:٥٣).

وكثيرون أولئك الذي عصوا الرحمن واستجابوا للشيطان فهجروا إخوانهم المسلمين لأسباب غير شرعية، أو لخلاف مادي، وتستمر القطيعة دهرًا، وقد يحلف ألاَّ يكلمه، وينذر ألاَّ يدخل بيته، وإذا رآه في طريق أعرض عنه، وإذا لقيه في مجلس صافح من قبله ومن بعده وتخطاه، أهذه الأمة الواحدة؟ أهذه تعاليم الأخوة الإسلامية الصادقة؟

وأما الذنوب: فقد قال صلى الله عليه وسلم: « ما تَوادَّ اثنان في الله فيفرق بينهما إلا بذنب يُحدثه أحدهما » (صحيح الجامع ٥٦٠٣)؛ وهذا حديث عظيم يدل على أثر من آثار الذنوب المُرَّة، ألا وهو التفريق بين المتوادين في الله المتحابين فيه.

فالعدو الماكر اللئيم يعرف متى ينقض على هذه الأمة، فأول عمل يقوم به تشتيت جمعهم، وتفريق كلمتهم، والوقيعة بينهم، فإذا تفرقوا خلا بهم على انفراد، ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: « ما من ثلاثة في قرية ولا بدو، لا تُقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » (صحيح الجامع: ٤٢٧)، أي: المتخلفة عن القطيع، المنفردة وحدها؛ لأن نجاتها وسلامتها ببقائها مع جماعتها من الأغنام، فالاجتماع قوة، والتفرق ضعف وتشتت وهوان.

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا
وإذا افترقن تكسرت آحادًا

فالتعاون مطلوب من الجميع، أفرادًا وجماعات، وقد شبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة بالبنيان المتراصّ المركَّب من اللبنات، وكل فرد من أُمَّة النبي صلى الله عليه وسلم لبنة في هذا البناء، فلا بد لكمال هذا البناء وسلامة بنيانه من سلامة هذه اللبنات، وتماسكها، أما إذا تفككت وتهلهلت تصدَّع البناء وانهار، وكذلك الأمة الإسلامية، أفرادها لبنات في المجتمع الإسلامي، لا بد من تضافر جهودهم واجتماع كلمتهم على طاعة الله عز وجل، وعلى ما يعود على أمة الإسلام بالخير.

ولما كانت السلامة متعسرة فقد أرشد الإسلام المسلمين إلى ما يجب عليهم إذا نال الشيطان من بعضهم وحرَّضه على أذى الغير والاعتداء عليه، فقال تعالى في معرض مدح عباده المؤمنين: « وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ » (الشورى: ٣٧).

قال الطبري: "يقول الله تعالى ذكْره: وإذا ما غضبوا على مَن اجترم إليهم جرمًا هم يغفرون لمن أجرم إليهم الجرم ذنبه، ويصفحون عنه عقوبة ذنبه" (الطبري: ٣٦/٢٥). ولقد أمر الله نبيه صلى الله

عليه وسلم بالعفو عن زلات المؤمنين فقال تعالى: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ» (آل عمران: ١٥٩).

وأمر المؤمنين بالعفو عن زلات بعضهم البعض؛ فقال تعالى: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» (الشورى: ٤٠)؛ وقال تعالى: «وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (التغابن: ١٤).

وبيّن سبحانه أن العفو من صفات المتقين؛ فقال تعالى: «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى» (البقرة: ٢٣٧). ووعد على العفو مغفرة وأجرًا عظيمًا، فقال سبحانه: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (النور: ٢٢)، ورغّب رسول الله صلى الله عليه وسلم في العفو، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه» (صحيح مسلم ٢٥٨٨).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله: أخبرني بفواضل الأعمال، فقال: «يا عقبة: صل من قطعك، وأعطِ مَن حرمك، واعفُ عمَّن ظلمك» (السلسلة الصحيحة ٨٩٠، ٨٩١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كتم غيظًا، وهو قادر على أن يُنفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يُخيّره من الحور العين، يزوّجه منها ما شاء» (صحيح الجامع: ٦٥١٨).

وبيّن صلى الله عليه وسلم أن خير الرجلين من بدأ بالسلام، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيُعرض هذا، ويُعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (صحيح البخاري ٦٠٧٧)، وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يرد عليه فقد باء بالإثم وخرج المسلم من الهجرة» (صحيح الترغيب: ٢٧٥٧).

ويكفي من سيئات القطيعة بين المسلمين: الحرمان من مغفرة الله؛ قال صلى الله عليه وسلم: «تُعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لمن لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلاً بينه وبين أخيه شحناء، يقول: دعوا هذين حتى يصطلحا» (صحيح مسلم ٢٥٦٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار» (صحيح أبي داود ٤١٠٦).

فالتوبة التوبة من داء التنافر والتناحر، والتشاحن والتدابر.

اصطلحوا أيها المتشاحنون، وتواصلوا أيها المتقاطعون، وأفيضوا جميعًا إلى ظلال المحبة والسلام، والتعاون والإخوة والوئام، تحققوا ما تصبون إليه من رشد وخير، في دنياكم وآخراكم، إذا فلا بد من دفع الزلات، والغض عن الهفوات، ويبادر كل متشاحنين إلى التسامح والصفاء، والتزاور والنقاء، وليعلموا أن خيرهما عند الله، وأبعدهما من الشيطان الذي يبدأ بالصلة والسلام.

وحسبه قول الله: «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» (الشورى: ٤٠).

قال يحيى الرازي: "ليكن حظ المؤمن منك ثلاث: إن لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تفرحه فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه". فما أجمل الاتفاق، وما أقبح الفرقة والاختلاف، فاتحاد المسلمين هو أول خطوة يخطوها في طريق العز والمجد والسؤدد.

فإذا رضي المسلمون بذلك وتعاونوا عليه فبشّرهم بالنصر والتمكين: «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (الروم: ٤-٦).

والحمد لله رب العالمين.

كيف نختار الأصدقاء؟

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق

فرع بلبيس

الْحَمْدُ لله رَبِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أما بعد، فإن الصَّداقة الصالحة لها منزلةٌ عظيمةٌ في الإسلام. وحُسْنُ اختيار الأصدقاء له تأثير كبير على الإنسان؛ فالصديق قد يكون سببًا في سعادة صاحبه في الدنيا والآخرة، وقد يكون سببًا في شقاء صاحبه في الدنيا والآخرة. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

منزلة الصداقة

الإنسانُ يحتاجُ إلى صديق في كل حال: إما عند سُوء الحال ليعاونه، وإما عند حُسْن الحال ليؤانسه وليضع معروفه عنده، ومن ظن أنه يمكنه الاستغناء عن صديق، فهو مغرور، ومن ظن أن وجود الصديق أمْرٌ سهلٌ، فقد جانَبه الصواب، ولكثرة نفع الصديق، سُئلَ حكيم عن الصديق فقال: هو أنت بالنفس إلا أنه غيرك بالشخص. فإذا وجدَ الإنسانُ أصدقاءَ ذوي ثقةٍ، وجدَ بهم عيونًا وآذانًا وقلوبًا كلها له فيرى الغائبَ بصورة الشاهد واختيار من تميل إليه لتصادقه أمرٌ صعبٌ، إذ قد يدافع عنكَ الإنسانُ الناقصُ فتظنه فاضلاً. (الذريعة للراغب الأصفهاني: ص٢٥٧).

ومجالسة الأصدقاء الصالحين ومرافقتهم في السفر هي خير وسيلة للاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم.

اختيار الصديق الصالح وصية رب العالمين

قال الله تعالى: (ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ) (الزخرف: ٦٧)؛ قَالَ الإمامُ ابنُ كثير: كُلُّ صَدَاقَةٍ وَصَحَابَةٍ لغَيْرِ اللَّه فَإِنَّهَا تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَة عَدَاوَةً إلاَّ مَا كَانَ لِلَّه، عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ دَائِمٌ بدَوَامِه. وَهَذَا كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ، عَلَيْه السَّلَامُ، لِقَوْمِه: (إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ

وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ) (الْعَنْكَبُوتِ:٢٥) (تفسير ابن كثير ج١٢ ص٣٢٤).

نبينا صلى الله عليه وسلم يوصينا باختيار الصديق الصالح

للأصدقاء تأثيرٌ كبيرٌ على مَن في سنهم. فالصَّديقُ الصالح له أثرٌ طيبٌ على صاحبه، والصَّديقُ السوء له أثرٌ سيئٌ على صاحبه، وهذا لا يمكن إنكاره. من أجل ذلك حثنا نبينا محمد صلَّى اللهُ عَلَيْه وَسلَّم، على حُسْن اختيار الصَّديق.

عن أبي مُوسَى الأشعري، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّم، قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ (يُعْطِيكَ مجَانا)، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً. (صحيح البخاري: ٥٥٣٤، وصحيح مسلم: ٢٦٢٨).

قَالَ الإمَامُ النووي: مَثَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، الْجَلِيسَ الصَّالِحَ بِحَامِلِ الْمِسْكِ وَالْجَلِيسَ السُّوءِ بِنَافِخِ الْكِيرِ. وَفِي هذا الحديث فَضِيلَةُ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَالْوَرَعِ وَالْعِلْمِ وَالأَدَبِ وَالنَّهْيُ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الشَّرِّ وَأَهْلِ الْبِدَعِ وَمَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ أَوْ يَكْثُرُ فُجْرُهُ وَبِطَالَتُهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الأَنْوَاعِ الْمَذْمُومَةِ. (مسلم بشرح النووي ج٨ص٤٢٧).

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ. (صحيح الترمذي للألباني: ١٥٨٦).

قَالَ الإِمَامُ المباركفوري قَوْلُهُ: (خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ) أَيْ أَكْثَرُهُمْ ثَوَابًا عِنْدَ اللَّهِ، (خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ) أَيْ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِ وَلَوْ بِالنَّصِيحَةِ. (تحفة الأحوذي- للمباركفوري ج٦ص٦٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ. (حديث جيد) (مسند أحمد ج١٤ص١٤٢ حديث ٨٤١٧).

وقوله: (فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ) معناه: فلينظر أحدكم بعين بصيرته إلى أمور من يريد صداقته وأحواله، فمَن رآه ورضي دينه صادقه، ومَن سخط دينه فليتنبه. (دليل الفالحين- لمحمد بن علان ج٣ص٢٣٠).

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: لا تُصَاحِبْ إلاّ مُؤْمِنًا وَلا يَأْكُلْ طَعامَكَ إلاّ تَقِيٌّ. (صحيح الترمذي للألباني حديث١٩٥٢).

قَالَ الإمَامُ الْخَطَّابِيُّ: حَذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ صُحْبَةِ مَنْ لَيْسَ بِتَقِيٍّ وَزَجَرَ عَنْ مُخَالَطَتِهِ وَمُؤَاكَلَتِهِ لأَنَّ الْمَطَاعَمَةَ تُوقِعُ الأُلْفَةَ وَالْمَوَدَّةَ فِي الْقُلُوبِ. (تحفة الأحوذي- للمباركفوري ج٧ص٦٤).

صفات الصديق الصالح

نستطيع أن نُوجِزَ صفات الصَّديق الصالح في الأمور التالية:

(١) العقل الراجح

الْعَقْلُ هُوَ رَأْسُ الْمَالِ وَهُوَ الأَصْلُ. فَلا خَيْرَ فِي صُحْبَةِ الأَحْمَقِ فَإِلَى الْوَحْشَةِ وَالْقَطِيعَةِ تَرْجِعُ عَاقِبَتُهَا وَإِنْ طَالَتْ. وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك، والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق.

(٢) حُسْن الخلق

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال: ما شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ

الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ. (صحيح الترمذي للألباني ١٦٢٨).

(٣) التقوى والصلاح

يجب على المسلم إن يختار الصديق الذي يتصفُ بالتقوى والصلاح في أقواله وأفعاله.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال: لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ. (صحيح الترمذي للألباني حديث١٩٥٢).

(٤) عدم الحرص على الدنيا

مُصَاحَبَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا سُمٌّ قَاتِلٌ، لأَنَّ الطِّبَاعَ مَجْبُولَةٌ عَلَى التَّشَبُّهِ وَالاقْتِدَاءِ بَلِ الطَّبْعُ يَسْرِقُ مِنَ الطَّبْعِ مِنْ حَيْثُ لا يَدْرِي صَاحِبُهُ. فَمُجَالَسَةُ الْحَرِيصِ عَلَى الدُّنْيَا تُحَرِّكُ الْحِرْصَ وَمُجَالَسَةُ الزَّاهِدِ تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا ويستحب صحبة الراغبين في الآخرة.

(٥) الصدق في الأقوال والأفعال

لا تصاحب كذاباً، فإنه مثل السراب، يُقربُ منك البعيد، ويُبعدُ منك القريب. (بداية الهداية للغزالي ص٦٥:٦٦).

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) (التوبة: ١١٩)؛ وقال الخليفة الراشدُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: عَلَيْكَ بِإِخْوَانِ الصِّدْقِ فَعِشْ فِي أَكْنَافِهِمْ فَإِنَّهُمْ زَيْنٌ فِي الرَّخَاءِ وَعُدَّةٌ فِي الْبَلاءِ. (الإخوان لابن أبي الدنيا ص١١٦).

الصديق الصالح مرآة صادقة لصديقه

الصديق الصالح هو الذي يعطيك صورة حقيقية عن نفسك، وبدون مجاملة، وهو الذي يبصرك بعيوبك لتتجنبها في حياتك الدنيا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ. (صحيح أبي داود للألباني حديث ٤١١٠).

قوله: (الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ) أَيْ: آلَةٌ لإِرَاءَةِ مَحَاسِنِ أَخِيهِ وَمَعَائِبِهِ لَكِنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فَإِنَّ النَّصِيحَةَ فِي الْمَلأِ فَضِيحَةٌ وَأَيْضًا هُوَ يُرِي مِنْ أَخِيهِ مَا لا يَرَاهُ مِنْ نَفْسِهِ كَمَا يَرْسُمُ فِي الْمِرْآةِ مَا هُوَ مُخْتَفٍ عَنْ صَاحِبِهِ فَيَرَاهُ فِيهَا أَيْ إِنَّمَا يَعْلَمُ الشَّخْصُ عَيْبَ نَفْسِهِ بِإِعْلامِ أَخِيهِ كَمَا يَعْلَمُ خَلَلَ وَجْهِهِ بِالنَّظَرِ فِي الْمِرْآةِ. (عون المعبود ج ١٣ ص:١٧٧)

الصديق الصالح خير أنيس لصاحبه في السراء والضراء

الأصدقاءُ من أهل الصلاح والخير هم الذين يَستأنسُ بوجودهم المسلمُ في الرخاء، وهم أيضاً خيرُ معين له في الضراء، فهم يخففون عنه همومه، ويسترشد بآرائهم في حل مشاكله.

الصديق الصالح يحفظ صاحبه

الصديق الصالح يدافع عن صاحبه في السر والعلانية، ويصون عرضه، ويُبعدُ عنه الشبهات، ويتحمل الأذى من أجله.

الصديق السوء يتبرأ من صاحبه يوم القيامة

قال الله سبحانه وتعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا) (الفرقان:٢٨- ٢٩)؛ قال الإمامُ ابنُ كثير: يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ نَدَمِ الظَّالِمِ الَّذِي فَارَقَ طَرِيقَ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، الَّذِي لا مِرْيَةَ فِيهِ، وَسَلَكَ طَرِيقًا أُخْرَى غَيْرَ سَبِيلِ الرَّسُولِ. فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَدِمَ حَيْثُ لا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ، وَعَضَّ عَلَى يَدَيْهِ حَسْرَةً وَأَسَفًا. (تفسير ابن كثير ج١٠ص٣٠١)

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ أجمعين.

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

تقديم فضيلة الشيخ / صفوت الشوادفي، رحمه الله

الحمد لله الأحد الصمد، والصلاة والسلام على رسوله خير البشر

وبعدُ...

فإن التصوف دخيل على الإسلام في لفظه ومعناه، وعقيدته ومبناه، لما اشتمل عليه من الضلالات والخرافات، واقترن به من الشوائب والرواسب، وأحاط به من الغموض والشرود! ولما تخلله من شبهات وشهوات. ولقد كان للتصوف سوق رائجة في عصور قد مضت وانقضت، وأجيال قد خلت، وكانت سوق التصوف تستمد رواجها من جهل الأتباع والمريدين الذين يصدِّقون كل ما يسمعون! ويؤمنون بما يعرفون وما لا يعرفون. فالحق والباطل عندهم سواء، وكان هذا أثرًا من آثار نظرية وحدة الوجود، ونظرية الحلول والاتحاد والتي يستوي في ظلها الإيمان والكفر، والاستقامة والفجور!

وبين يدينا الآن كتاب جليل القدر، عظيم النفع؛ قد أجاد فيه مؤلفه وأفاد، وكشف فيه عن حقيقة الصوفية وجذورها، وحذَّر من خطرها وضررها، وأثبت العلاقة الوثيقة بين التصوف والتشيُّع، وبدأ كتابه باعترافات خطيرة عن نفسه يوم أن كان شيخًا لطريقة صوفية، ثم تاب عليه ربه فهدى!

وقبل أن أترك الشيخ يتحدث عن نفسه؛ فإنني ألفت أنظار القراء إلى أن هذا الكتاب الذي يفضح الصوفية، ويكشف سترها قد أجاز

إعداد: لواء مهندس / محمود المراكبي
رحمه الله

مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف نشره وتداوله كما هو مرفق في نهاية المقال، وهي دلالة قاطعة على أن الأزهر ليس هو الصوفية كما يزعم أتباعها، وإلى اعترافات شيخ الطريقة نترك القارئ الكريم راجين منه أن يقرأها بكل عناية ورعاية، مع ملاحظة أننا قد سقنا الاعتراف بنصه وفصه، من دون حذف أو إضافة أو تعقيب ولا تنقيب!

كنت شيخا لطريق صوفي:

كثير من الناس انخرط في طريقة صوفية ثم تركها بعد فترة، دون أن يترك الموضوع عنده أيّ أثر ليعرف خلفيات الأمر وأبعاده، أما تجربتي فقد بدأت مع مشارف السبعينيات، فقد تلقيت طريق القوم بإذن من رجل فاضل كان يشغل منصبًا رفيعًا، فقد كان مستشارًا في مجلس الدولة، وكان جمّ الأدب، كثير الصمت، صادق اللهجة، يميل إلى العزلة، دائم الذكر، حديثه طيب، ليس فيه غلو ولا شطط، يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويأمر بمداومة ذكر الله، ويحذر المريدين من الغفلة عن ذكر مَن لا يغفل ولا ينام، وقد أحببتُ الرجل حبًّا عظيمًا، وطلبت التلقين على يديه، في وقت كان يُعدّ نفسه للابتعاد عن الطريق وتولية ابن الشيخ الكبير مكانه في مسؤولية الطريق، لذلك فقد أمره أن يُلقّنني الطريق، وبدأت أسلك طريق القوم.

وقد توجهت من كل قلبي قاصدًا وجه الله تعالى، والتزمت كل الالتزام بما أمرني به شيخي من الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر (لا إله إلا الله)، وبطبيعة الحال لم يكن عندي من العلم -وما زال- إلا القدر الذي يعرفه عامة الناس، وبدأت أشاهد الرؤى وتتابع عندي البشريات، وبدأت أرتقي مراتب الطريق المرتبة تلو الأخرى، وأنا غارق في القراءة وطلب العلم مع المداومة على ما أمرني به شيخي، ولم تمض ثلاث سنوات حتى أجازني شيخي وكلفني بمشيخة الطريق، وما لبث الشيخ أن ترك الإخوان واعتزلهم، وكلفني بقيادة الطريق، ودعوة الخلق إلى طريق الحق، وتلقين المريدين، بل وترقيتهم بما في ذلك الإجازة بمشيخة الطريق.

> ”كنت شيخًا لطريق صوفي.“

وشعرت بعظم المسؤولية، خاصة وأنا أستفتح الحضرات يوم الجمعة في مسجد التحرير بمصر الجديدة، ويوم الأحد بمسجد السيدة نفيسة، رضي الله تعالى عنها، ومن إدراكي لأهمية إبلاغ الناس أمر هذا الدين، فقد ازددت شغفًا بالعلم الشرعي، لأُعلم نفسي أولاً، ثم لأنقل العلم الصحيح للمريدين، فقد اعتدت أن أجلس بعد الحضرة وأتلقى الأسئلة، وكان مفروضًا أن أجيب عنها، وهذا ما تلقيته عن شيخي عن شيخه، إلا أني آليت على نفسي ألا أُجيب عن أي سؤال من تلقاء نفسي، وإنما أنقل ما تعلمته وقرأته عن علماء الأمة وسلفها الصالح، وإذا ما سُئلت عما لا أعلم فإني أطلب من السائل أن يمهلني لأدرس سؤاله وأجيب عليه في الحضرة التالية.

ثم أراد الله تبارك وتعالى أن تتكشف أمامي مواضع الاختلاف بين التصوف وبين الكتاب والسنة، وكانت أول قضية أثارت انتباهي نص في الورد الذي كنا نردده فرادًا أو جماعة في الحضرة، حيث يقول الشيخ: (اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، الذي شاهد ربه بعيني رأسه وطاب وما غاب).

وتذكرت حديث السيدة عائشة، رضي الله تعالى عنها، المعروف في كتب العلم، والذي أخرجته معظم مصادر الحديث الشريف وعلى رأسها البخاري ومسلم، والذي تستنكر فيه هذا القول وتستقبحه، وتصف من قال: إن محمدًا رأى ربه بأنه قد أعظم على الله الفرية، فكانت دهشتي بالغة كيف يُخالف شيوخنا حقائق الدين وفهم الصحابة عنها، ومن أين أتوا بهذه الصِّيَغ، فعكفت الشهور الطوال أدرس هذا الموضوع، أطالع كتب الحديث وشروحها وكتب السيرة وما يتعلق بالإسراء والمعراج وأشهر كتب التفسير حتى اطلعت على أقوال الصحابة في هذا الموضوع، وانتهيتُ إلى أن الراجح عند علماء الأمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرَ ربه بعيني رأسه يوم المعراج، وأن هذا الخبر انفرد به ابن عباس في رأيٍ نقله عن كعب الأحبار، كما نُقلَ عن ابن عباس رأيٌ آخر قال فيه: إن محمدًا رأى ربه بفؤاده.

> كانت دهشتي بالغة ! كيف يُخالف شيوخنا حقائق الدين وفهم الصحابة؟!

فبدأ الشك ينتابني إذ لم أكن أتصور أن هذا الطريق بعيد عن الكتاب والسنة، ففتح الله تبارك وتعالى عيني على مخالفات أكبر، وكلما ظهرت لي قضية أتفرغ لها تمامًا، وكنت أشعر بتوفيق الله تعالى وتيسيره واضحًا جليًا، ومن ذلك أني كنت في يوم أدرس ظاهرة الشطح عند الصوفية، وفي ساعة متأخرة من الليل احتجتُ مجموعة من الكتب تناقش الموضوع وإذا بصديق يمر عليَّ فأسأله عن الكتب فيأتيني بها من مكتبه في دقائق.

وهكذا بدأت تتكشف لي الأمور الواحدة تلو الأخرى، وظللت على هذه الحال ثلاث سنوات أو أربع ألتقي خلالها بمشايخ الطريق، ومنهم مَن يكاشف الناس (المكاشفة هي نوع من الفتح في الفهم الصوفي، وللشيخ الذي يكاشف الناس يبادرهم بأشياء حدثت معهم أو ستقع لهم، وقد سمعت بنفسي مكاشفات عديدة من أكثر من شيخ وقع بعضها كما أخبر، وأكثرها لم يقع، بل وقع خلاف قوله وهي تستهوي أكثر زوار هؤلاء المشايخ الذين يذهبون إليهم حبًا في سماع هذه المكاشفات) في كثير من الأحداث، إلا أحدًا منهم لم يشعر أني أبحث في تأصيل الطريق ومدى حيوده عن الكتاب والسنة.

ولما تجمعت عندي كل القضايا والمخالفات الصوفية، ثم بدأت في مرحله مفاتحة مشايخ الطريق وخلفاء الشيخ الأكبر، وما تركت منهم شيخًا إلا وناقشته وحاججته الساعات الطوال، والليالي ذوات العدد، وإلى ما بعد منتصف الليل، فما وجدت عند القوم دليلاً ولا برهانًا، سوى

قولهم: «إن شيخنا كان رجلاً صالحًا، وعالمًا في كلية أصول الدّين، فكيف يفوت عليه خلل؟! وتأتي أنت وتنتقد ما استمر عليه الشيخ حتى وفاته»، وكثير من المشايخ كان يفتح فاه من الدهشة عندما ألقنه الحجة والدليل، ولما عجز المشايخ عن الإجابة عن تساؤلاتي، والإجابة عن اعتراضاتي، أمروا المريدين بالابتعاد عني، وأشاعوا أنني كنت على وشك أن يفتح الله عليَّ وأتلقى: «كن فيكون»، إلا أنني لم أحتمل الأنوار فتوقفت، وفُتنت بالعلم، وطالبوهم بعدم زيارتي، وعدم الإنصات إليَّ، ولما أصدرت كتابي الأول وأسميته «القول المبين لنفع السالكين»، كان عندي بعض أمل أن يستمع الصوفية إلى نداء الكتاب والسنة، والإعراض عن البدع والشركيات، ولكن هيهات، فاستمر بحثي عن أصل هذه الأفكار، ومتى ظهرت في الإسلام؟ ومَن أول مَن أظهرها من الناس؟ محاولاً الوصول إلى أصول الصوفية والمنابع التي استقت منها هذه الأفكار.

ثم يسر لي الحق تبارك وتعالى كتابة هذه السلسلة التي سطرت فيها تجربتي كاملة، ولكن من منظور مناقشة الأفكار الدخيلة على الإسلام، ثم جاء سؤال مهم جدًّا سمعته من بعض أصدقائي ممن ينتمي إلى صوفية الطريق الأخرى، يقول فيه: «قد يكون طريقك الذي سرتَ فيه يتضمن بعض الانحرافات، أما طريقنا فهو مطابق للكتاب والسنة، لا يخالفهما قيد أنملة، فلِمَ اعتراضك على التصوف؟ فالرجل بسؤاله هذا يحاول أن يبرئ التصوف ككل، ويزعم أن الشطط والزيغ فقط في الطريقة التي كنت أنتسب إليها.

فبدأت في مرحلة دراسة الطرق الصوفية التي توفرت لي مصادرها وكتب أورادها، ورحت أتتبع أفكار الانحراف الممثلة في وحدة الوجود وذكر الله بالأسماء السريانية، والعدوان في الدعاء، وغيرها من الأفكار-التي سنناقشها بالتفصيل في مقالاتنا هذه- فللأسف الشديد كان هناك اتفاق بين الطرق الصوفية على نفس الأفكار والدعائم، لذا فقد تحول البحث من قضية طريق صوفي إلى مناقشة قضية التصوف ككل، ومن هنا جاءت هذه السلسلة من المقالات، ولما كانت قصة موسى والخضر، عليهما السلام، هي الدعامة الأساسية التي يرتكز عليها الصوفية والباطنية، فقد خصصت لها الكتاب الأول، ثم جاء الكتاب الثاني لناقش فكرة تقسيم الدين إلى ظاهر وباطن، وهي الفكرة التي اتكأ عليها الفكر الباطني عمومًا.

ثم ناقشت في الكتاب الثالث كيف تسرُّب الفكر الباطني إلى الشرائع السماوية، والمراحل التي مر بها انحراف الباطنية من اليهود، ثم تأثير التأويل الباطني على عقيدة النصارى، ثم كيف تسرب الفكر الباطني إلى الإسلام، حتى ظهر فكر الشيعة والغلاة من الإسماعيلية والدروز، ثم جاء الآن دور الكتاب الرابع الذي بين يديك الآن، الذي هو مربوط الفرس والهدف من كل هذا الجهد، وأسأل الله تعالى أن يكون عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن يكتب لنا ثوابه وثواب من ينتفع به إلى الدين.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

إعلان وظيفة
مدير تنفيذي

تُعلن جمعية أنصار السنة المحمدية المركز العام الكائنة 8 شارع قوله عابدين عن حاجتها لشغل وظيفة مدير تنفيذي للجمعية

الشروط المطلوبة

- أن يُجيد استخدام الحاسب الآلي خاصة برامج الإكسيل والوورد والبوربوينت
- ألا يقل عمره عن 30 عاماً
- أن يكون من سكان القاهرة الكبرى
- أن يكون حاصلاً على مؤهل جامعي كحد أدنى ويُفضل إدارة أعمال
- أن يكون متفرغاً لإدارة الجمعية بعد ترشيحه

إرسال السيرة الذاتية والاستفسار على الأرقام التالية

01004537045 - 01111670639

في موعد غايته 15/12/2024

8 شارع قولة - عابدين - القاهرة

«علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
عام يقبل .. وصفحة تطوى !!
أنصار السنة المحمدية والانتخابات
يا دعاة الأمة: الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

☎ للتواصل واتساب:٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

التوحيد
١٤٤٣